بسم الله الرحمن الرحيم

لقد تم تصحيح الرسالة كما ورد في قرار اللجنة وأعادت الطالبة طبعها مرة ثانية. وبعد الاطلاع جرى التوقيع والله الموفق

الدكتور مسعد النبراوي
عضو

دكتور
مسعد عبد المعطي الحفني النبراوي

الدكتور ... عضو

عبد الحميد محمد الأمين

الدكتور أحمد أحمد غلوش
المشرف
٣/٢/١٤٠٦هـ

العبرة

من قصة يوسف عليه السلام

رسالة ماجستير

مقدمة لفرع الكتاب والسنة . كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

إعداد الطالبة
رقية عمر بكر صباغ

إشراف
الأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش

١٤٠٥هـ

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

شكر وتقدير

شكر وتقديـــر

أسدى جزيل شكرى وتقديرى الى جميع منسوبي جامعــــــة أم القرى (قسم الدراسات العليا) الذين أتاحوا لى فرصـــــة الالتحاق بالدراسات العليا لنيل درجة الماجستير في الكتــــــاب والسنة والمشرف على اعداد هذه الرسالة الذى منحنى الكثير من وقتـــه وأفادني بعلمه الأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش ، والأساتـــذة المناقشين على توجيهاتهم وارشاداتهم العلمية والى كل من مد لـــي يد المساعدة لانجاز هذه الرسالة وأسأل الله العلى القدير أن يطيــل في بقائهم نورا يستضاء بهديه في الليلة الظلماء . وأن يجزيهـــم عنى خير الجزاء .

.. ..

الحمد لله رب العالمين ذي الطول العظيم، والصلاة والسلام على النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين..

وبعد ..

فان القرآن الكريم هو المنهج العظيم والصراط المستقيم تحدى الله به الإنس والجن لبيان عجزهم عن الإتيان بمثله أو بسورة واحدة منه، فهو الدستور الإلهي الذي نزل للناس فهداهم بأسلوبه البليغ، وفصاحته الواضحة، وحكمه الفاضلة، وارشاداته السديدة.

لقد كتب الله سبحانه وتعالى لقرآنه الكريم الحفظ إلى يوم القيامة دون تحريف أو تبديل، وهي الميزة التي تميز بها القرآن الكريم عن سائر الكتب الإلهية السابقة، قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (١)، فحفظ الله بهذا الحفظ خير الإنسانية جمعاء في مختلف جوانب حياتها ووضع لها الأسس العامة لتسير على خطاها، وتبني عليها حياتها في كافة النواحي، فلا تضل ولا تشقى على مر الأيام، وتعيش بسعادة غامرة، وسلام طيب وتحقق مصالحها في الدنيا وفي الآخرة.

والنظر في القرآن الكريم له أوجه متعددة وقد أشبعه العلماء بدراسات شاملة في مؤلفاتهم الكثيرة، ومن بين الموضوعات التي عاش معها العلماء (القصة القرآنية) فدرسوها من جميع النواحي حيث تكلموا عن حقيقة القصة وموضوعها، وأسلوبها وعناصرها، وأغراضها وآثار خضوعها للغرض الديني، ومدى ظهور الخصائص الفنية فيها، وكيفية تصويرها للحوادث والشخصيات وتوضيح دور كل شخصية.

---

(١) سورة الحجرات، آية (٩).

كما أبرزوا العديد من الفوائد خلال دراساتهم للقرآن الكريم .

وللقصص القرآني أهمية عظمى ، فهو مشتمل على الأسباب والنتائج للأحداث التى أوردها القرآن من أخبار الأمم الماضية ، وهو الوسيلة التي تتحقق بها أهداف القرآن وغاياته في الدعوة إلى عبادة الله وحده والكشف عن تاريخ الأنبياء والرسل ، ومصارع الأقوام المكذبة لهم ، يعرض ذلك كله في صور ومشاهد تكاد أن تكون ماثلة للعيان .

وللقصص القرآني آثاره في الأفراد والجماعات وبخاصة إذا تخللته العبر والمواعظ قصد العمل بها لمرضاة الله تعالى وطاعته ، لما له من وقع عظيم الأثر في النفوس عند سماعه أو تلاوته ، إنه يدعو إلى عقيدة التوحيد ويعود الخضوع لشرع الله والإنقياد لأوامره ، ويعرف بوجود قوة فوق جميع القوى تؤيد المؤمنين وتخذل الكافرين .

ومن بين قصص القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام .

وقد أنزل الله عز وجل في شأنه سورة كاملة تتحدث عن ماكان من أمره منذ أن كان مع أبويه واخوته ، وأخذت تفصل في قصته إلى أن تحققت رؤياه بسجود أبويه وإخوته له .

وهي قصة مليئة بالعبر والعظات ، والحكم والآداب المتعددة والمتنوعة .

وكان من حسن حظي أن شاءت إرادة الله تعالى أن أكون ممن وفقوا للعمل في مجال دراسة كتاب الله الكريم والاستفادة مما يحويه من الهدي الحكيم وتوضيح المنهج الإلهي القويم وقد سعدت بهذا العلم الجليل علي أنال به خيرا في الدنيا والآخرة ، فمع القرآن الكريم أكون مع الوحي ومع المصدر الديني ومع الهدي السديد ، ومن المعلوم أن النظر في القرآن الكريم قربة وعبادة

يتقرب بها العبد الى الله وشفاء للقلوب المفتقرة الى خالقها العظيم .

فأشكر الله العلي القدير الذى هداني الى صراطه المستقيم ووفقني منذ المرحلة الجامعية لدراسة الكتاب والسنة لأنال بهما شرف العلم ودرجة من درجات العلماء التي وعد بها المتقين الأبرار لقوله تعالى : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير " (١)

عشت مع القرآن الكريم سعيدة بما فيه ، وكنت أقف عند قصة العذاب التى قدمت بأسلوب ميسر شامل لسائر جوانب العقيدة ، داع للالتزام بطاعة الله تعالى .

وسررت بقصة يوسف عليه السلام لكثرة فوائدها وعبرها ، ومنهجيتها في التأثير والتكوين .

فهي قصة توضح منهج تربية الأنبياء ، ومنهج التعامل الأسرى ، ومنهج عبادة الله تعالى .

لذلك بادرت باختيارها مجالا لدراستى في مرحلة الماجستير وجعلت (العبرة من قصة يوسف عليه السلام) موضوعا لبحثى .

ان العبرة من قصة يوسف عليه السلام يمكن دراستها من عدة وجوه :

أولا : يمكن دراستها دراسة تحليلية بتتبع الآيات حسب تسلسلها في سورة يوسف مع استنباط العبرة من

---

(١) سورة المجادلة ، آية (١١) .

الآيات آية آية .

وهذا المنهج يجعل العبر غير مترابطة .

ثانيا : يمكن دراسة العبر حسب ورودها في السورة من غير تحليل للآيات . وفي هذا المنهج ما في التصور الأول من عدم التسلسل والتنسيق .

ثالثا : يمكن دراسة العبر وفق منهج موضوعى مقسم وفق التسلسل العقلى . كأن آتي بالعبر فى مجال تربية الفرد ، فالأسرة فالجماعة . . وهكذا .

والمنهج الأخير : هو الذى إتبعته في مجال دراستي ، فحاولت أن آخذ العبرة في مجال الفرد ، ثم العبرة في مجال الأسرة ، ثم العبرة في مجال المجتمع ، ثم العبرة في مجال التنظيم وهكذا .

والمنهج العلمي للبحث يعتمد على ما يلي :

أولا : أحدد العبر المستفادة من قصة يوسف عليه السلام وأرتبها تبعا لخطة الدراسة .

ثانيا : أبرز أصول العبرة من خلال قصة يوسف عليه السلام كما جاءت في القرآن مع التعليق عليها وربط العبرة بآيتها أو آياتها .

ثالثا : أجمع النصوص المؤيدة للعبرة من المصادر الإسلامية كالقرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف .

رابعا : أحاول أن أجمع أقوال العلماء المسلمين المتصلة بالعبرة سواء من خلال كتب التفسير أو كتب شرح الحديث أو سائر العلوم الأخرى .

خامسا : إبراز طرق التطبيق العملى للعبرة في الحياة الاسلامية المعاصرة مع التركيز والتوسع فى الجانب الذى يحتاج اليه الناس .

وبذلك أظهر العبرة وأصولها وتطبيقاتها . وقد دفعني النظر العقلي في إطار المنهج الذى إتبعته أن أقسم العبر المستفادة من قصة يوسف عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم الى ثلاثة مجالات هي :

المجال الأول : العبر في مجال تربية الآبناء .
المجال الثاني : العبر في مجال الأسرة .
المجال الثالث : العبر في مجال تنظيم الجماعة

وقد رأيت أن أقدم لدراسة هذه المجالات بدراسة أبين فيها قصة يوسف عليه السلام وما يتلعق بها .

ولذلك جاءت الدراسة مشتملة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة

أما المقدمة :

فقد عرفت فيها أهمية الموضوع ، وسبب إختياره ، ومنهج دارسته .

وأما الفصل الأول :

فقد جاء مشتملا على دراسة تعد تمهيدا للبحث تدور حول التعريف بقصة يوسف عليه السلام كما جاء القرآن الكريم بها ، وقد إقتضانى ذلك أن أعرف البيئة التى عاش فيها يوسف عليه السلام ونسبه كما جاء في الكتب القديمة وكان علي أن أعرف القصة القرآنية

عموما وبموجز قصة يوسف عليه السلام ليكون هذا الفصل تمهيدا لغيره من الفصول إذ لابد أن أعرف مناط العبرة والعظة .

<u>وفي الفصل الثاني :</u> تكلمت عن العبرة المستفادة في مجال تنشئة الفرد وفيه تكلمت عن رعاية يعقوب عليه السلام لأبنائه ومداومة النصح والتوجيه لهم وطريقة أسلوبه البليغ في توصيل يوسف عليه السلام إلى المعنى المراد من رؤياه وإتمام نعم الله عليه ليزداد قوة صلته بالله تعالى ثم ربطها بوجوب رعاية الآباء لأبنائهم في المجتمع الاسلامي المعاصر.

وقد تكلمت عن العبر والدروس الآتية :

١- إكتشاف خصائص الفطرة عند الولد :
وتكلمت فيها عن إكتشاف يعقوب عليه السلام فطرة يوسف وتنميتها وتبشيره باجتباء الله له واعلاء منزلته على من سواه ثم حض الآباء للسير على نهج يعقوب في اكتشاف خصائص الفطرة في أبنائهم والعمل على تنميتها بتأصيل عراها في نفوسهم .

٢- الإهتمام بصحة الولد الجسمية والنفسية :
ووضحت فيها إهتمام يعقوب عليه السلام بصحة أبنائه الجسمية والنفسية وإخراجه إياهم إلى المراعي لمزاولة النشاط واللعب لتكمل صفاتهم من جميع النواحي وتوجيه الآباء إلى العناية بتربية أبنائهم الجسدية والنفسية ليتحملوا تبعات المستقبل ومسئولية الرجال .

٣- تنشئة الولد على حب الله وعبادته
وهو ماجاء مشتملا علي :

أ - إهتمام يعقوب عليه السلام بتربية أبنائه على حب الله وعبادته ودفع الآباء الى الطريقة المثلى ليعقوب عليه السلام في تربية ابنائه على حب الله وعبادته وجعل سلطان طاعتهم له تعالى طاغيا على سلطان هواجس النفس ورغباتها .

ب - أمره بالعبادة وهو في سن السابعة :
وتكلمت فيها عن القيم والمفاهيم البيئية التي يكتسبها الطفل في هذا السن ووجوب إحتضان الآباء لإبنائهم بتنميتها وتعميقها في نفوسهم .

٥- الاهتمام بالعلم :
ووضحت فيها كيف غذي يعقوب عليه السلام فكر يوسف بالعلوم النافعة التي إختصه الله عز وجل بها وجعلها معجزته الخالدة في عصره وبيان حرص الاسلام على دفع الآباء إلى العلم والتعليم وإجماع العلماء على وجوب التدرج في تعليم الطفل ما يلائمه من علوم .

وفي الفصل الثالث تكلمت عن العبر في المجال الأسرى وفيه تكلمت عن :

١- العدل بين الأبناء :
ووضحت فيه عدل يعقوب عليه السلام لإبنائه وأسرته واستئصال آفات الغيرة والحسد من نفوسهم ودعوة الآباء الى اتباع هذا الأسلوب الحكيم في العدل والمساواة بين أبنائهم دون تحيز أومحاباة بين بعضهم البعض .

٢- بث روح التعاون بين الإخوة :
ووضحت فيه حياة يعقوب عليه السلام المملوءة بروح التعاون

والبذل والعطاء بين أبنائه وربط كل واحد منهم بالله عز وجل دون يأس أو قنوط من روح الله وحث كل أب على محاولة تطبيق حياة يعقوب عليه السلام على حياته مع أبنائه وأسرته .

وفي الفصل الرابع تكلمت على العبر في مجال تنظيم الجماعة وفيه عشت مع :

١- المحافظة على حقوق الغير :

ووضحت فيها حياة يوسف عليه السلام في بيت العزيز وحسن إكرامه له ومدى طهارة نفسه وعفته ومحافظته على حقوق العزيز في حضرته وغيبته والمحافظة على عرضه و مناشدة الآباء إلى غرس هذا الخلق الكريم في أبنائهم .

٢- عدم كتمان العلم عن الغير ما دام له فيه مصلحة :

وبينت فيه سخاء يوسف عليه السلام في العلم والتعليم مما وهبه الله تعالى من تأويل الرؤى وتفسيرها حتى في سجنه الذي مكث فيه لم يضن على رجاله بتأويل ما طلبوه منه ، وحث الآباء على وقاية أنفسهم وأهليهم من الوقوع في النار والسير على نهج يوسف عليه السلام في تعليم الناس ما يخفى عليهم من علم .

٣- الدعوة إلى الله تعالى وتتضمن :

١) البدء بالقضايا الأساسية في الدعوة وهي :

أ - قضية التوحيد

وتكلمت فيها عن أقسام التوحيد وعرفت كل قسم على حده وكيف كان يوسف عليه السلام يدعو الناس إلى عبادة الله

وحده والأسلوب الذى يتبعه الداعى إلى الله في دعوته .

ب ـ قضية الرسالة

ووضحت فيها متى يدعو الداعي إلى الإيمان بالكتب السماوية جميعا وبيان أن الإيمان بها حق وأن من آمن ببعضها وكفر بالبعض الآخر كفر، وأن الانسان لا يكون في كامل الإيمان إلا إذا آمن بها جميعا .

جـ ـ قضية اليوم الآخر

ووضحت فيها أيضا متى يدعو الداعي إلى الإيمان به وبيان أن الجنة حق والنار حق .

٢- إختيار الداعى الكفء بصفاته ومزاياه .

٣- أهمية الأسلوب الواضح لتبليغ الدعوة.

ووضحت فيه الأسلوب الحكيم الذي ينبغي أن يتبعه الداعي في دعوته إلى الله تعالى وأن يوضح للناس محاسن الإسلام ومعانيه السامية وأنه دين البشرية كافة ومنهاجها السديد .

٤- الإستفادة من الظروف المناسبة .

ووضحت فيها السبيل الذى يسلكه ولي الأمر من إتاحة الفرص وتحينها في دعوة الناس إلى الإيمان بالله عز وجل متبعا في ذلك أسلوب يوسف عليه السلام عندما أتيحت له فرصه الدعوة إلى الله مع الساقي والخباز .

٥- تنظيم الحياة والتخطيط للمستقبل .

ووضحت فيه الأعمال التي إتخذها يوسف عليه السلام حيال المستقبل الذى كان ينتظر أهل مصر وماجاورها من الأمصار وجعل النظم القرآني يفسر ماكان وماسيكون

لهم وأخذ العبرة في أهمية تنظيم الداعى للحياة والتخطيط لمستقبله في دعوته إلى الله تعالى.

٦- الإدخار وعدم الإسراف.

ووضحت فيه المعنى المراد لهذه العبرةومؤيداتها العلمية والفعلية.

ثم كانت الخاتمة في أهم النتائج المستنبطة من الدراسة وهى عديدة والحمد لله.

وإنى أشكر الله تعالى الذى أعاننى على التغلب على العديد من الصعاب التى صادفتها أثناء البحث بسبب المراجع أوغيرها، وكذلك أن مراجع الدراسة الموضوعية للقرآن الكريم قليلة تحتاج للبحث عنها في أقاليم العالم الاسلامي المختلفة. بالإضافة إلى أن موضوعي الذى إخترته يحتاج إلى الإستنباط الذهنى والتتبع الواعى لعلوم عديدة بعضها لم يكن لى خبرة سابقة كالعلوم الحديثة.

يضاف الى ذلك كله أن حركتي - كامرأة - محدودة.

وأحمد الله أن اعاننى حتى تمت الرسالة بصورتها الحالية وهو جهد أرجو من الله أن يمنحه التوفيق والعون. وأن يتقبله مني. وأن يجعله في ميزان يوم القيامة.

انه نعم المولى ونعم النصير،،

الفصل الأول

التعريف بقصة يوسف عليه السلام وبسورته في القرآن الكريم

نزل القصص القرآني على الرسول صلى الله عليه وسلم للعبرة والعظة .

وقد جعله الله تعالى حقا وصدقا في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يقول الحق تعالى : " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (١)

ومن بين قصص القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام مميزة بورودها تامة متكاملة في سورة واحدة مشتملة على كثير من الدروس والعبر.

وقد إقتضت دراستي للعبر المستفادة من قصة يوسف عليه السلام أن أمهد لها بإيجاز في المباحث التالية :-

١- بيان أحوال العصر الذي وجد فيه يوسف عليه السلام .

٢- التعريف بقصة يوسف وبسورته في القرآن الكريم .

٣- تعريف القصة لغة واصطلاحا .

٤- التعريف بنسب يوسف عليه السلام .

٥- موجز لقصة يوسف عليه السلام .

وذلك وفق هذا الترتيب .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (١١١)

المبحث الأول

عصر يوسف عليه السلام

المبحث الأول

عصر يوسف عليه السلام

(إن مصر في هذه الفترة لم يكن يملكها الفراعنه من الأسر المصرية وإنما يحكمها (الرعاة) الذين عاش إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام قريبا منهم فعرفوا أشياء عن دين الله منهم ونأخذ هذا من ذكر القرآن للملك الذى عاش في عصر يوسف عليه السلام بلقب (الملك) (ماكان ليأخذ أخاه في دين الملك) في حين كان يسمى الملك الذى جاء على عهد موسى عليه السلام من بعد بلقب (فرعون) ومن هذا يتحدد زمن وجود يوسف عليه السلام في مصر بين عهد الأسرة الثالثة عشر والأسرة السابعة عشر وهى أسرة (الرعاة) الذين سماهم المصريون الهكسوس) (١).

ويتميز عهد يوسف عليه السلام بكثير من الحرف التي كان أهل مصر يعيشون عليها وهي :-

١- الرعي .

٢- الزراعة .

٣- التجارة .

---

(١) تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام.
وايران وتركيا منذ أقدم العصور، الدكتورجمال عبد الهادى الدكتوره/ وفاء محمد رفعت ، حـ١، ص ١٨١ - ١٨٢ دار الشروق ، جدة .

١- الرعي :

من الحرف الأساسية التي كان يزاولها سكان البادية منذ أن خلق الله تعالى الأرض ومن عليها فما من نبي بعث إلا ورعى الغنم ، فقد كان نبي الله يعقوب عليه السلام يرعى الغنم لخاله لابان بأرض حران .

(وقد ذكر ابن كثير أنه عليه السلام مكث يرعى الغنم سبع سنين مقابل أن يزوجه خاله ابنته راحيل ولما زوجه (ليا) اشترط عليه أن يرعى له الغنم سبع سنين أخرى ليزوجه (راحيل) (١).

وكان إخوة يوسف عليه السلام يخرجون للرعي في مناطق العشب ويتنقلون فيها بحرية واطمئنان ، ولهذا جاءوا الى أبيهم وطلبوا منه السماح ليوسف بالخروج معهم كي يرتع ويلعب كما قال تعالى : أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون " (٢)

ونجد الحق تبارك وتعالى يقول في حق موسى عليه السلام : " قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى" (٣) ومن المعلوم أن رعي الغنم كان عمل الأنبياء جميعا

---

(١) البداية والنهاية ، الامام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي ، حـ١ ، ص ١٩٤ ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٩م مكتبة المعارف ، بيروت ، بتصرف .
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٢)
(٣) سورة طه ، آية (١٨) .

لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مابعث اللهنبيا إلا رعى الغنم) (١)

والرعي يعتمد على التنقل وراء المناطق التي يكثر فيها العشب لافتقار الغنم إليه والى الماء حيث أنها لا تستطيع الصبر على الجوع والعطش عكس الإبل التي تتسم بالصبر على الجوع والعطش والقدرة على السير في المناطق الرملية لمسافات طويلةأو على نقل أحمال ثقيلة) (٢)

٢- الزراعة :

كانت الزراعة والفلاحة منالموارد الإقتصادية التي يزاولها سكان البادية وكان أهل مصر يعيشون علىالزراعة لوجود وادي النيل فيها كما جاء على لسان يوسف عليهالسلام عند ما فسر روءيا الملك بقوله تعالى : " قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون " (٣)

---

(١) صحيح البخارى ، الامام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفي - باب رعي الغنم على قراريط - المجلد الثانيج٣ ، ص٤٨ طبعة بالأوفست عن طبعة دارالطباعة العامرة باستنبول ، دارالفكر

(٢) العرب في العصور القديمة مدخل حضارى في تاريخ العرب قبل الاسلام ، لطفي عبدالوهاب يحى ، ص ٢٦٩ ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨م ، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

(٣) سورة يوسف ، الآيات (٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩).

فالآية الكريمة دالة على أن الزراعة هي المورد الأساسي لغذاء النفوس المصرية وأنها الحرفة التي يعتمد عليها شعب مصر في حياتها لمعيشية ، وحرفة الزراعة تتطلب أيدي عاملة خبيرة بطرق الزراعة وريها .

٣- التجارة :

كان المجتمع المصري على درجة عاليةمن الحضارة المادية حيث البذخ والترف والقصور المليئة بالحشم والخدم ، وكانت القوافل تمر ببلاد الشام ومصر محملة بالبضائع والحبوب والتوابل ، وكانت القافلة المارةمن بلاد الشام إلى مصر سببا في إخراج يوسف عليه السلام من غيابة الجب عند إرسالهم واردهم ليستقي لهم من ذلك البئر الذي ألقي فيه يوسف عليه السلام ، قال تعالى :" وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون " (١)

(وكانت القوافل التي تأتي من الشام لمصر قديما تجتاز (الأردن) جنوب بحيرة طبرية إلى (بيسان) إلى (حنين) إلى (دوتان) إلى (السامرة) إلى (جلجولية) إلى (اللد) إلى (غزة) إلى (العريش) إلى صحراء (التيه) إلى أن تصل إلى (مصر) .(١)

---

(١) سورة يوسف ، آية (١٩)

(٢) مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام ، الشيخ عبدالله العلمي الغزى الدمشقي ، حـ١ ، ص ٤٣٤ ، الطبعة الاولى ، دار الفكر بدمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م .

وهذه القافلة التي حملت يوسف عليه السلام من العرب (المديانيين) أو (الكنعانيين) (١) وكان التجار يأتون من المناطق المجاورة ليمتاروا من خزائن مصر ، وكان إخوته عليه السلام يأتون من بلاد الشام من أرض كنعان مع القوافل التجارية القادمة إلى مصر ومعهم بضاعتهم لإستبدالها ببضاعة أخرى من مصر. وكانت الأداة التي يستعملونها في الكيل هي الصاع الذي دسه يوسف عليه السلام في وعاء أخيه لابقائه معه في مصر.

ولم تكن التجارة في ذلك الوقت قاصرة على البضائع التجارية فحسب، بل كانت تجارة الرق ضمن ما يزاولونه في تجارتهم، لذلك أخذ يوسف عليه السلام أسيرا حيث باعوه في مصر إلى العزيز (فوطيفار) وزير خزائن مصر.

وظلت بلاد الشام مكانا تجاريا يأتي اليه التجار حتى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يخرج في تجارة لزوجته خديجة بنت خويلد وكان عرب شبه الجزيرة يخرجون اليها في رحلة الصيف ، وكانت لهم رحلتان في السنة ، رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى بلاد الشام ، وقد وصف الحق عز وجل هاتين الرحلتين في قوله " لإيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف " (٢)

قال مجاهد : (لإيلاف ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف وآمنهم من كل عدو وهم في حرمهم) (٣)

---

(١) موءتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام، جـ١ ، ص ٤٣٤.

(٢) سورة قريش ، آية (١-٢)

(٣) صحيح البخارى، كتاب فضائل القرآن ، حـ٦ ، ص٩٢

١- مجتمع عصر يوسف عليه السلام :

ينقسم مجتمع عصر يوسف عليه السلام إلى قسمين :-

المجتمع الشامي

المجتمع المصري

أ - المجتمع الشامي :-

كان هذا المجتمع فريداً (له ذوقه الحضاري من درجة معينة يميل إلى الإستقرار (١) ويؤثر الإنطلاق على الحضارة والمدنية .

وقد حددت طبيعة المنطقة التي فيها يعقوب وأبناؤه بأنها منطقة يعتمد فيها على الآبار وذلك دليل على أن أقرب نهر من المنطقة يبتعد كثيرا عن الجب الذى وضع فيه يوسف عليه السلام) (٢)

ومن عجائب طبيعة الشام أن تنبجس في بعض أصقاعه عيون طيبة تنبت الحبوب والبقول والاشجار على اختلاف أنواعها) (٣)

ونستطيع أن نفهم من القول على لسانه عليه السلام : (إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) (٤) . أشياء منها :-

---

(١) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام ، الدكتور حسن محمد باجوده ، ص ٤٩٧ ، دار الكتب الحديثة .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٠٣

(٣) خطط الشام ، محمد كرد علي ، حـ١ ، ص ١٥ ، الطبعة الثانية ، الناشر مكتبة النوري ، دمشق .

(٤) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٤)

الطبيعة الصافية غالبا لسماء المنطقة التي كان فيها يوسف عليه السلام آنذاك إضافة إلى صفاء نفس يوسف واشراقه الروحي.

(فاتجاه السيارة من الشام إلى مصر الذين أسروه بضاعة دليل لقوافل أخرى تسير في كل جهة وكان التجار يتعاملون في البيع والشراء بالدراهم وأحيانا تتم عملية تبادل البضاعة) (١)
كما قال تعالى: (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) (٢)

ب - المجتمع المصري:

هو مجتمع المدنية والحضارة ويختلف إختلافا كبيرا عن المجتمع الشامي حيث (الطبقة الراقية من رجال الحاشية والقصور والخدم والحشم وامرأة العزيز والنسوة فهن اللائي يدعين الى المآدب في القصور ويأكلن وهن متكئات على الوسائد في ذلك الزمان ويؤخذ من هذا أن الحضارة المادية في مصر قد بلغت درجة عالية.

وكان أهل مصر يزاولون الشرك دون رادع يردعهم أو وازع ديني يلهمهم الصواب لاعتناقهم أربابا متفرقة، أطلقوا عليها أسماء ما انزل الله بها من سلطان.

---

(١) الوحده الموضوعية، ص ٤٩٩ - ٥٠٠
(٢) سورة يوسف، آية (٢٠)

كما قال تعالى : " يا صاحبي السجن،أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (١)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية ٣٩ - ٤٠)

٣- الناحية السياسية :

كانت مصر في عهد يوسف عليه السلام يحكمها الملك الريان وكان يتمتع بشخصية قوية حازما حليما أمره حسن فيما بينه وبين ملئه حيث قال لهم : " ياأيها الملأ أفتوني في روءياي إن كنتم للروءيا تعبرون " (١) فقد طلب منهم الرأى ليشاركوه في تعبير روءياه .

وكان حازما يتصرف في حكمة وصواب ، نلمس ذلك في تصرفه مع امرأة العزيز والنسوة اللاتي تآمرن على يوسف عليه السلام حتى أظهر الله براءته باقرارهن بالحق .

ولكن الظلم والإضطهاد كان متفشيا في ذلك العصر عند بعض حكامه كالضرب على يد المظلوم ونصرة الظالم وتسليم زمام بعض الأمور في أيدي النسوة وتنفيذ أمرهن وحكمهن والتستر على الجرائم ومواراتها خاصة في الطبقات المترفة .

وقد أدى تسلط النسوة إلى سجن يوسف عليه السلام وذلك حينما خيرته امرأة العزيز بين الوقوع في الفاحشة أو السجن بقولها : " قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ماءامره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين" (٢)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٤٣)
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٣٢)

وقد تولى عليه السلام بعد خروجه من السجن سلطة البلاد وحكم فيها بما أنزل الله ودعى إلى الإيمان برسالته ونجح في إدارة جهاز الدولة ودبر ونظم وادخر ، وجاءت سنوات الجدب وجاء إخوته من البدو ليقتاتوا من خيرات مصر واستطاعت مصر أن تخرج من أزمتها وسارت محط أنظار جيرانها ومخزن الطعام في المنطقة كلها) (١) وسادها العدل والمساواة حتى دان الملك الريان لعبادة الله وحده بعد أن اقتنع بدين يوسف عليه السلام وبرسالته السماوية .

---

(١) تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام وايران وتركيا منذ أقدم العصور، ص ١٨٩ .

المبحث الثاني

أهم أهداف سورة يوسف عليه السلام

المبحث الثاني

أهم أهداف سورة يوسف عليه السلام

قال تعالى : " الر تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " (١)

سورة يوسف عليه السلام مكية نزلت كلها في مكة مهبط الوحي ، إلا ماورد من أن الآية الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والسابعة منها فمدنية ، وفى الاتقان - نزلت بمكة سورة الاعراف ، ويونس ، وهود ، ويوسف (٢) ، وهو الراجح . وآياتها إحدى عشر بعد المائة . (٣)

وقد إشتملت هذه السورة على تفصيلات لقصة يوسف عليه السلام التي انفردت من بين سور القرآن بورودها تامة في صورة واحدة عرفت بسورة يوسف عليه السلام . (٤)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١-٢)

(٢) الاتقان في علوم القرآن ، الامام جلال الدين السيوطي الشافعي ج ١ ، ص ١٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) تفسير ابى السعود ، الامام ابى السعود محمد بن محمد العمادى ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .

(٤) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٤ ، ص ١٤٥١ ، الطبعة الشرعية السابعة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، دار الشروق ، بيروت .

وقد ألمت السورة بجميع مراحل حياته عليه السلام منذ الرؤيا الصالحة التي رآها والتي كانت حقا وصدقا لأن رؤى الأنبياء وحي من الله تعالى إلى أن استقدم أبويه الى مصر ورفعهما على العرش وتم ظهور رؤياه تلك .

وقد نزلت السورة بمكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لترسم منهج الصبر والتحمل ومداومة الدعوة الى الله تعالى في أصعب المواقف وأشدها ولتوضح النتائج المنتظرة لمن صبر وأناب إلى أن يكمل هذا الدين وينتصر على ماعداه من الأديان الباطلة .

" إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" (١)

وقد افتتحت هذه السورة بالأحرف المقطعة وهى واحدة من تسع وعشرين سورة افتتحت كلها بالأحرف المقطعة .

واختلف العلماء في معنى الأحرف المقطعة التي افتتحت بها هذه السور :

قال القرطبي : (إختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور فقال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين : هى سر الله في القرآن ولله في كل كتاب من كتبه سر .

فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ولا يجب أن يتكلم فيها ، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت وروي هذا

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٩٠)

القول عن أبي بكر الصديق وعن علي بن أبى طالب رضي الله عنهما) (١)

وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذى لا يفسر.
وقال أبو حاتم : لم نجد الحروف المقطعة في القرآن الا في أوائل السور ولا ندري ما أراد الله عز وجل بها .
وقال جمهور العلماء : بل يجب أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عنها .

واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة .
فروي عن ابن عباس وعلي أيضا ان الحروف المقطعة في القرآن إسم الله الاعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها .
وقال قطرب والفراء . وغيرهما هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حتى تحداهم بالقرآن أنه موءتلف من حروف هي التي منها كلامهم ، ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم .

وقال قطرب : كانوا ينفرون عند استماع القرآن ، فلما سمعوا (الم) ، (المص) استنكروا هذا اللفظ فلما أنصتوا له صلى الله عليه وسلم أقبل عليهم بالقرآن الموءتلف ليثبته في أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم.

---

(١) الجامع لاحكام القرآن لابى عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الانصارى الخزرجي الاندلسي ، حـ١ ، ص ١٥٤ ، الطبعة الثانية

وقال قوم روي أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكةوقالوا (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) نزلت ليستغربوها فيفتحون لها أسماعهم فيسمعون القرآن فتجب عليهم الحجة.

وقال جماعة: هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها كقول ابن عباس والضحاك: الألف من الله، واللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل الألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد.

وروى أبو الضحى عن ابن عباس قوله " الم " أنا الله أعلم " الر" أنا الله أرى " (المص)" أنا الله أفصل.

فالألف تؤدي عن معنى " أنا" واللام تؤدي عن اسم الله، والميم تؤدي عن معنى أعلم، واختار هذا القول الزجاج وقال: أذهب أن كل حرف منها يؤدي عن معنى، وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة نظما ووضعا بدل الكلمات التي الحروف منها.

وقال زيد بن أسلم: هي أسماء للسور.

وقال الكلبي: هي أقسام أقسم الله بها لشرفها وفضلها وهي من اسمائه) (١).

(وقد رجح ابن كثير: (بأنها بيان لاعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

قال ابن كثير: وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين (٢)

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي، حـ١، ص ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم للامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي حـ١، ص٣٨ قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية ووضحها نخبة من العلماء - دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

أبو الضحي: مسلم بن صبيح الهمداني مولاهم أبو الضحى الكوفي العطار وقيل مولى آل سعيد بن العاص روى عن النعمان بن بشير وابن عباس. قال ابن معين وابو زرعة ثقة وذكره ابن حبان في الثقات =

وقال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي وا لتبكيت كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال: جاء منها على حرف واحد كقوله . ص ن ق . وحرفين مثل (حم) وثلاثة مثال (الم) وأربعة مثل (المر والمص) . وخمسة مثل (كهيعص وحمعسق) لأن اساليب كلامهم على هذا في الكلمات ماهو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك) (١)

وقال بن كثير: ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان اعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول الله تعالى: " الم ذلك الكتاب لا ريب فيه (الم . الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) وغيرذلك من الايات الدالة على صحة ماذهب اليه هوءلاء . (٢)

= وقال النسائي ثقة حدثنا ابو بكر حدثنا أبو حصين قال رأيت الشعبي والى جنبه مسلم بن صبيح فاذا جاء شيء قال ماترى يابن صبيح وقال العجلي تابعي ثقة.
تهذيب التهذيب للامام الحافظ الحجة شيخ الاسلام شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني حـ ١، ص ١٣٢ الطبعة الاولى مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند . ، سنة ١٣٢٧هـ .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، حـ١ ، ص ٣٨ .

وقد بدأت سورة يوسف عليه السلام بالإشارة إلى المقصد الأسمى المنشود من إنزالها فجاءت خطابا بينا للنبي صلى الله عليه وسلم تسلية وتطمينا لقلبه حيث قال الله تعالى :
" نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين " (١)

فهي أخبار قصصي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحقيق أهداف مقصودة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه ولدين الله تعالى الذي كمل على يده صلى الله عليه وسلم حينما أخبر عنه في حجة الوداع في خطبته التي ألقاها يوم عرفة بعد أن أوحى إليه بقوله تعالى :
أليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن أضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم" (٢)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام، آية (٣)
(٢) سورة المائدة آية (٣)

المبحث الثالث

تعريف القصة في الاصطلاح اللغوي

(قص) أثره قصا وقصصا تتبعه .

والخبر أعلمه ، "فارتدا على آثارهما قصصا" (١) أي : رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر ، و (نحن نقص عليك أحسن القصص " نبين لك أحسن البيان .

والقاص : من يأتي بالقصة.) (٢)

والقصص واحدة القصة .

وفي الحديث (لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء) (٣) تريد بذلك الطهر من الحيضة .

وقال الامام الخازن رحمه الله في معنى القصص :

(الأصل في معنى القصص إتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذى يأتى بالخبر على وجهه) (٤)

---

(١) سورة الكهف آية (٦٤) .

(٢) القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي فصل القاف ، باب الصاد ، ص ٣٢٤- ٣٢٥ الطبعة الاولى المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان .

(٣) صحيح البخارى كتاب الحيض باب اقبال الحيض وإدباره حـ١ ، ص٨٢ .

(٤) تفسير الخازن ، الامام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن ، حـ٣ ، ص ٣ دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان .

وهذا الذي قلته بعض معاني المادة وهو الذى يتناسب مع ما أذهب اليه .

والقصة القرآنية هي الكلام الحسن المنزل في القرآن الكريم بلفظه ومعناه المتضمن لإحداث الأمم السابقة للعبرة والعظة .

وقصص القرآن له أهميته الخاصة لاحتوائه على النماذج الصادقة للبشر أجمعين فهو يصور النفسيات والإتجاهات ويظهر الدوافع وبذلك يمكن تحديد طرق مخاطبة البشر كل على قدر طاقته وأيضا فإن قصص القرآن يقدم صورا وقعت في عالم البشر مما ييسر أمام المسلم المعاصر امكانية تكرار هذا الواقع مرة أخرى وأيضا فإن قصص القرآن الكريم يقدم تعريفا بالأمم الماضيةمن ناحية دينها وما حدث لها وبذلك فهي تاريخ صادق وثقافة يتمتع العقل بها ولولا مجيء القرآن الكريم بهذا القصص لغاب عن ذاكرة التاريخ وأعتبر مجهولا بالنسبة للناس .

وأيضا تعد القصة القرآنية وسيلة للدعوة إلى الله تعالى ففيها الترغيب والترهيب .

الترغيب القائم على تقديم صور النصر والفوز الذي عاشه المؤمنون بالرسل والترهيب المعتمد على إظهار ألوان العذاب والهوان الذي لاقاه العصاة .

المبحث الرابع

نسب يوسف عليه السلام وفضله

المبحث الرابع

التعريف بنسب يوسف عليه السلام وفضله

نسبه عليه السلام :

يوسف عليه السلام هو نبي الله بن نبي الله بن نبي الله ابن خليل الله .

فهو شريف النسب والمجد ، حيث جمع شرف النبوة في ذاته ونسبه .

يقول الحق تبارك وتعالى : " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم " (١)

(في الآية إشارة إلى آباء يوسف عليه السلام وهم :
يعقوب أبوه ، وإسحاق جده وإبراهيم جد أبيه عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

وقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا النسب وأكده ، فيروي الامام البخاري في صحيحه قال :

حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا عبدالصمد عن عبدالرحمن ابن عبدالله بن دينار عن أبيه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. (٢) وروى الترمذي في كتابه قال :

---

(١) سورة يوسف عليه السلام، آية (٦)
(٢) صحيح البخارى ، كتاب تفسير القرآن ،حـ٥ ، ص٢١٦

(حدثنا الحسين بن حريث الخزاعي أخبرنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الكريم بن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .
قال : " ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت. (١)

يقول ابن حجر العسقلاني رحمة الله عليه : هذا الحديث دال على فضيلة خاصة وقعت ليوسف عليه السلام ولم يشركه فيها أحد . (٢)

في رواية لمسلم في فضائل يوسف عليه السلام يقول :
حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى وعبدالله ابن سعيد قالوا : حدثنا يحي بن سعيد عن عبدالله أخبرني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟

---

(١) سنن الترمذي الجامع الصحيح للامام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ماجاء في الذي يفسر القرآن برأيه حـ٤، ص ٣٥٦ ، الحديث (٥١١٩) حققه وصححه عبدالوهاب عبداللطيف ، دار الفكر للطباعة والتوزيع ، بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

(٢) فتح الباري على شرح صحيح البخاري للامام الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني المجلد الثامن باب (ويتم نعمته عليك) حـ٨ ، ص ٣٦١ دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، المكتبة السلفية .

قال : أتقاهم .
قالوا : ليس عن هذا نسألك .
قال : فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله .
قالوا : ليس عن هذا نسألك
قال : فعن معادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " (١)

" قال العلماء واصل الكرم كثرة الخير وقد جمع يوسف صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق مع شرف النبوة مع شرف النسب وكونه نبيا ابن ثلاثة أنبياء متناسلين أحدهم : خليل الله صلى الله عليه وسلم وأنضم اليه شرف علم الرؤيا وتمكنه فيه ورياسة مصر وملكها بالسيرة الجميلة وحياطته للرعية وعموم نفعه اياهم وشفقته عليهم وإنقاذه إياهم من تلك السنين" (٢)

وليوسف عليه السلام أحد عشرة أخا وهم :
(رأوبين ، شمعون ، لاوى ، يهوذا ، يساكر ، زبولون)
وهؤلاء أبناء ليه زوج يعقوب عليه السلام الأولى .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى للامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، كتاب الفضائل باب فضائل يوسف عليه السلام حـ ١٥ ، ص ١٣٤ ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، الامام الحافظ شيخ الاسلام محي الدين ابو زكريا يحي بن شرف بن مرى الحزامي الحواربي الشافعي ، حـ١٥ ، ص ١٣٤ .

ودانا ، ونفتالى ، هما من بلهة جارية راحيل .
وجاد ، وأشير ، من زلفة جارية ليه .

أما بنيامين فكان من راحيل أم يوسف عليه السلام ، وهو شقيقه لإمه ولإبيه) (١)

وهؤلاء الإخوة الأحد عشرة هم المعنيون بالكواكب التي رآها يوسف عليه السلام في نومه .

وعنها يقول الحق تبارك وتعالى : "إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " (٢)

وقد ذكرت اسفار العهد القديم أسماءهم على النحو السابق ولم يكونوا من أم واحدة بل كان بنيامين وحده هو الشقيق ليوسف عليهالسلام .

وهذا واضح من قوله تعالى حاكيا قول يوسف عليه السلام لإخوته : " ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين " (٣)

يقول ابن كثير رحمه الله فيما يرويه عن السدى أن يوسف عليه السلام لما دخل عليه إخوته بدأ يخاطبهم ويسألهم من أين أنتم ؟

---

(١) سفر التكوين الاصحاح التاسع والعشرون ، والثلاثون ، ص ٢٩-٣٠
(٢) سورة يوسف عليه السلام آية (٤)
(٣) سورة يوسف عليهالسلام ، آية (٥٩)

قالوا : من بلاد كنعان - أبونا يعقوب نبي الله .

قال : وله أولاد غيركم ؟

قالوا : نعم كنا إثني عشر فهلك أحدنا في البرية وكان أحبنا إلى أبينا منا ، وبقي شقيقه حيث احتبسه أبوه ليتسلى به .

فجهزهم وقال لهم : ائتوني بأخيكم هذا لأعلم صدقكم فيما ذكرتم " (١)

كان يوسف عليه السلام اكبر من أخيه بنيامين وأمهما راحيل آخر زوجات يعقوب عليه السلام .

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٢ ، ص ٤٨٣ بتصرف

المبحث الخامس

موجز قصة يوسف عليه السلام

المبحث الخامس

موجز قصة يوسف عليه السلام

تتناول السورة قصة يوسف بالتفصيل وأنا هنا أوجزها في مواقف رئيسية.

أ - موجز قصة يوسف عليه السلام :

وتبدأ القصة كما وردت في السورة القرآنية بالآيات التالية : من قوله تعالى : " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ، اذ قال يوسف لأبيه ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، قال يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين" (١)

فمن الله تعالى على نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بقصة يوسف تسلية وتسرية له حيث كانت معجزة الله في عصره ومنذ أن أخذت بوادرها تتراءى له إلى أن تحققت وآمن به أهل مصر ومن حولها .

وكان يوسف عليه السلام وأخوه بنيامين أحب الى أبيهما يعقوب عليه السلام لصغرهما وحرمانهما من حنان وعطف أمهما راحيل التي ماتت كما وضحت ذلك كتب التفسير قبل ان تتم تربيتهما

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ .

فرعاهما والدهما ، وبينما كان يوسف عليه السلام نائما ذات يوم رأى رؤيا إستيقظ على أثرها حائرا فأقبل على والده عليه السلام يقص عليه ما رأى لعله يجد عنده ما يهدئ روعه ويجلي حيرته . (١)

فقال : ياأبت إنى رأيت رؤيا أسأل الله عز وجل أن تكون رؤيا خير وسلام .

رأيت أحد عشر كوكبا ومعهما الشمس والقمر قد سجدوا لى ففهم يعقوب عليه السلام بحكم نبوته وعلمه أن هذه الرؤيا تحمل في طياتها الخير والبركة وأن الله تعالى سيختاره ويصطفيه للنبوة فقربه منه بعد أن قص رؤياه عليه وطلب منه عدم قصها على إخوته وكتمانها عنهم لما لمسه منهم في جانب يوسف عليه السلام من الغيرة والتنافس ولهذا جاء في الحديث :
"إستعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود" (٢)

---

(١) تفسير الخازن ، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن ، جـ٣ ، ص٣-٤ ، بتصرف.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المحدث محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي على كتاب " الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين السيوطي ، جـ١ ، ص ٤٩٣ ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ذكر الحديث أبو نعيم وهو حديث ضعيف .

وكان الشيطان الدافع الأساسي لهذه العداوة التي تأصلت في ذات إخوته له، كما قال تعالى: " قال يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين " (١)

آراء العلماء في تفسير الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر :-

قال أهل التفسير: رأى يوسف عليه السلام في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعهما الشمس والقمر فسجدوا له وكان النجوم إخوته وكانوا أحد عشر رجلا .

وقال قتادة : الشمس أبوه والقمر أمه .

وقال السدى : القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت ، وقد أراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت إمرته .

لما أخبر عنها عليه السلام بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل . (٢)

وقد اختلفوا كذلك في تكرار لفظ الرؤيا :
فقيل : إن معنى الرؤيا الأولى أنه رأى اجرام الكواكب والشمس والقمر .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام، آية (٥)
(٢) تفسير الخازن ، جـ٣ ، ص٤ـ٥ ، وهناك رأي آخر يقول بأنها لم تمت .

ومعنى الرؤيا الثانية أنه أخبر بسجودها لـــه .
وقال بعضهم : معناه أنه لما قال : " إنى رأيت أحد عشر كوكبــا والشمس والقمر ، فكأنه قيل له : وكيف رأيت ؟
قال : "رأيتهم لي ساجدين " (١)

وبعد تطبيب يعقوب عليه السلام خاطر إبنه وذهاب الخوف والروع بتأويل رؤياه بين له أن الله تعالى سيختاره للنبــــوة التي شاهد آثارها في رؤيا سجود أبويه وإخوته طائعين منيبيــن لأوامر الله تعالى تتمة لكلمة الله حقا وصدقا .

قال تعالى : " " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويـــك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم " (٢)

ب - تآمر إخوة يوسف عليه السلام :

نفذ صبر إخوة يوسف على أبيهم يعقوب عليه الســـلام باصطفائه واستمراره في حب يوسف عليه السلام واهتمامه البالـــغ وشفقته به (مع أنهم لا يتوانون في خدمته وقضاء حوائجه ويتساءلـــون فيما بينهم عن سر اهتمامه البالغ بهذا الغلام الذى لم يتجـــاوز سن الرشد والذى لا يعول عليه لتحمل أعباء الحياة والقيام بواجبـــه نحو نفسه أولا ثم نحو أبيه) (٣)

---

(١) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص٤
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٦)
(٣) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص٦

وقالوا : إن أبانا وقع في خطأ ظاهر في عدم إنصافه لنا وإلا لما آثر وفضل يوسف الصديق وأخاه بنيامين علينا ونحن عصبة يتعصب بنا في الشدة والرخاء كما بين السياق القرآني قولهم ، قال تعالى : " إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين" (١) وفي معنى المعصية جاءت اقوال أهمها

قال الفراء : العصبة هي العشرة فما زاد

وقيل : هي مابين الواحد الى العشرة .

وقيل : مابين الثلاثة الى العشرة .

وقال مجاهد : هي مابين العشرة الى الخمسة عشرة .

وقيل : الأصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبة ، والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر.(٢)

وقيل : العصبة مابين العشرة الى الأربعين .

والعصبة في الارجح العشرة فصاعدا لعدة أسباب .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٨)
معنى العصبة في اللغة :
(العصبة بالضم الجماعة من الرجال والخيل والطير مابين العشرة الى الأربعين) ،
القاموس المحيط ، حـ١ ، ص١٠٩ ، فصل العين ، باب الباء (العصب ،

(٢) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص٦

١- لا تفاقه مع المفهوم اللغوي

٢- لانه يميز العصبة عن النفر والطائفة

٣- لانه ينسجم مع إخوة يوسف عليه السلام فقد كانوا فوق العشرة .

فهم جماعة يتعصب بعضهم لبعض الأمر الذي أوغر صدورهم بالحقد والحسد لجانب يوسف عليه السلام ومحاولة التخلص منه بالقتل أو بالإلقاء في غيابة الجب بدليل قولهم ما قال الله تعالى : " اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين" . (١)

قيل : إن الذى أشار عليهم بالقائه في الجب هو يهوذا .

وقال قتاده : هو روءبيل وهو ابن خالته .

والأصح : أن قائل هذه المقالة هو يهوذا لأنه كان أقربهم اليه سنا) (٢)

ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى : " قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين" (٣)

حيث أشار الى رميه فى ظلمات البئر الكثير المياه العميق .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٩)

(٢) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص٦

(٣) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١١)

وبعد أن أجمعوا أمرهم على القائه عليه السلام في غيابة الجب وحتى يتم لهم تنفيذه أقبلوا على أبيهم يعقوب عليه السلام وطلبوا منه أن يسمح لهم بارسال يوسف عليه السلام معهم وتظاهروا بأنهم يريدون أن يأخذوه معهم لكي يرتع ويلعب ويخفون ما الله مبديه ليعقوب عليه السلام بحكم نبوته والهام الله تعالى له ، فقالوا كما ذكر الحق تبارك وتعالى : " قالوا ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون، أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون" (١)

طلبوا من ابيهم ارسال يوسف عليه السلام معهم الى الصحراء للتنعم والاكل واللهو والنشاط وسوف يجتهدون في المحافظه عليه ورده لهسالما) (٢)

ولكن النبى الكريم والرسول الحكيم تردد بادىء الأمر فيما طلبوا معتذرا لذلك بعذرين :

أحدهما : أن ذهابهم به ومفارقته إياه يحزنه لأنه كان لا يقدر على فراقه طرفة عين .

والثاني : خوفه عليه من الذئب أن يأكله وهم عنه غافلون . (٣)

قال تعالى : " قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون " (٤)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١١ ، ١٢)

(٢) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص٧ بتصرف .

(٣) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص ٧

(٤) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٣)

ولكن جوابهم الذي كان فيه شبه إقتناع واطمئنان لأبيهم سمح لهم بالذهاب ومعهم يوسف عليه السلام لأن قولهم : لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون " (١)

(يعني عجزة ضعفاء) .

وقيل : إنهم خافوا أن يدعو عليهم يعقوب بالخسارة والبوار .

وقيل : معناه إنا اذا لم نقدر على حفظ مواشينا فنحن إذا خاسرون) (٢)

ولكن الإخوة ما ان ظفروا به عليه السلام توجهوا الى حيث شاء الله تعالى أن يثبت له صدق رؤياه وتأويل والده له بانزال الوحي عليه يؤنسه ويبشره بالخروج من محنته داخل الجب وأنه سينبؤهم بما فعلوا ويجازيهم عليه . (٣) وهو في عزه ومجده وهم محتاجون اليه . (٤)

فقال تعالى : " فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ، وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون" .(٥)

وقيل : ان الله تعالى أوحى الى يوسف عليه السلام أنه سيخلصه مما هو فيه من المحنة ويصير مستعليا عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره . (٦)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٤)
(٢) تفسير الخازن ، جـ٣ ، ص ٧
(٣) تفسير الخازن ، جـ٣ ، ص ٨
(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٣٥
(٥) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٥) .
(٦) تفسير الخازن ، جـ٣ ، ص ٩

وبعد القاء يوسف عليه السلام في الجب عادوا الى أبيهم عشاء وفي أعينهم الغش والكذب ليلقوا عليه النبأ الذى حذرهم منه والذى اخذوه من فم أبيهم عليه السلام ذريعة في حبك المؤامرة وتنفيذها .

كما قال تعالى : " وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين " (١)

لكن الله عز وجل أبطل فريتهم وقطع عليهم مؤامرتهم بحكم علمه الذي وهبه يعقوب عليه السلام وبالسمات الكاذبة التي كانت مرتسمة على وجوههم والدالة على أن ما وقع ليوسف عليه السلام كان بتدبير منهم وأن القميص الذى جاءوا به ملطخا بدم فريسة اصطادوها وليس دم يوسف عليه السلام .

فما كان من يعقوب عليه السلام الا أن قال لهم ما حكاه الله تعالى في قوله : " قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " (٢)

جـ - النجاة من الجب :

بينما كان يوسف عليه السلام جالسا في ظلمات الجب وحيدا بائسا اذا بالفرج المرقوب يطل عليه من أعلى الجب ويتدلى

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٧)
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٨)

اليه ليصعد به ويصيح الوارد بأعلى صوته ويقول : كما حكى الحق تعالى عنه : " وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون" (١)
والوارد رجل يقال له : (مالك بن ذعر أودعر الخزاعى) (٢)

فسار يوسف عليه السلام مع السيارة (وعندما شعر إخوه يوسف بأخذ السيارة له لحقوه وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتراه السيارة من إخوته بثمن بخس ، أى قليل نذر) (٣) ، " وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين" (٤)

قال ابن مسعود وابن عباس ونوف البكالي والسدي وقتادة وعطية العوفي : باعوه بعشرين درهما ، اقتسموها درهمين ، وقال مجاهد : باعوه باثنين وعشرين درهما . (٥) وقال عكرمة ومحمد بن إسحاق : أربعون درهما . (٦)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٩)
(٢) موءتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام ، حـ١ ، ص ٤١٠
(٣) قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ص ٢٣٧
(٤) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٢٠)
(٥) تفسير مجاهد الامام ابى الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي ، حـ١ ، ص ٣١٣ ، مجمع البحوث العلمية ، اسلام اباد .
(٦) قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٣٧

وعن السدى رضى الله عنه أنها كانت اثنين وعشرين درهما . (١)

وعندما وصلوا إلى مصر إتجهوا به عليه السلام إلى سوق الرقيق حيث تم بيعه الى عزيز مصر وكان اسمه (فوطفار أو أطفير ابن روحيب وكان من المصريين الوطنيين الأصليين . (٢) ووزيرا على خزائن مصر في عهد الملك الريان .

وقد بعثه الله تعالى إلى مصر وأهلها ليكون نبي رحمة لما يجري على يده عليه السلام من المعجزات الدالة على نبوته .

فقال عزيز مصر لامرأته كما قال الحق تعالى عنه :
" وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون" (٣)

د - إنتقال يوسف عليه السلام الى بيت العزيز :

أخذ (فوطفار) يوسف عليه السلام الى بيته وقال لزوجته (راعيل بنت رماييل) وقيل اسمها زليخة وقيل فكا بنت ينوس) (٤) : أكرمي مثواه ،أى منزله ومقامه بطيب المطعم واللباس الحسن (عسى أن ينفعنا) اى يكفينا بعض المهمات اذا بلغ) (اونتخذه ولدا) قال ابن عباس : كان حصورا لا يولد له ، وكذلك قال ابن إسحاق كان فطفير لا يأتي النساء ولا يولد له) (٥)

---

(١) تفسير أبى السعود ، حـ٤ ، ص٢٦١
(٢) موئتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام ، حـ١ ، ص٤٣
(٣) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٢١)
(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٣٧
(٥) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، حـ٩ ، ص١٥٩-١٦٠

فعزيزمصر أراد باكرام يوسف عليه السلام اتخاذه ولدا له يعوضه الذرية التي حرم منها كما قال تعالى : (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أونتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١)

ظل يوسف عليه السلام في بيت العزيز يكبر ويترعرع في ظل رعاية امرأة العزيز التي أحاطته بعطفها وحبها حتى صار شابا يفتتن بجماله وكماله ، وقد مكنه الله تعالى في أرض مصر بفضله ومنه عليه بنعمة الاصطفاء والخلاص من غيابة الجب ووحشته .

هـ - مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام :

شغفت امرأة العزيز بفتاها الذي رعته وأكملت تربيته حتى أصبح شابا فأخذت تراوده عن نفسه وتقربه منها لعل وعسى أن يستجيب لها وينصاع لطلبها ورغبتها ولكونه عليه السلام لم يخلق لمعصية الله تعالى والنزول عند الرغبات والشهوات وانما بعث لطاعة الله وعبادته وأداء رسالته في أرضه حيث جعله ربه من عباده المصطفين الأخيار .

واستطاع بهذا الاختيار الإلهي الخلاص من هذه المراودة بتوليه واعراضه عنها ولكنها في نهاية المطاف استطاعت أن تلحق به وتجذبه من قميصه فقدته ليكون البرهان الساطع على مراودتها للنبي الكريم وبراءته ونزاهة ساحته عندما حاولت الصاق

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٢١)

التهمة به بمكرها ودهائها .

قال تعالى : وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون " (١)

هكذا كان جواب يوسف عليه السلام لامرأة العزيز أنه سيده ومربيه (إنه ربي). اعترافا بفضل وكرم من خلصه من الرق والعبودية .

وقد أخذ عليه السلام يدافع عن نفسه أمام سيده، وكان شق قميصه هو الشاهد الذى أثبت الحق وجعل القضية واضحة جلية أمام العزيز عندما ألفياه لدى الباب قال تعالى : (قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رآى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ، يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك، إنك كنت من الخاطئين" (٢)

وهكذا عصمه ربه عن الفحشاء ، وحماه من مكر النساء كما حماه من قبل من مكر إخوته له بالقتل ، فهو من السادة النجباء ومن السبعة الأتقياء المذكورين في الصحيحين عن خاتم الانبياء) (٣)

قال الامام مسلم حدثني زهير بن حرب ومحمد بن المثني

---

(١) سورة يوسف عليه السلام، آية (٢٣)
(٢) سورة يوسف عليه السلام، آلايات (٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩)
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٣٩ ، بتصرف

جميعا عن يحي القطان قال زهير حدثنا يحي بن سعيد عن عبيد الله أخبرني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الامام العادل وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله إجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ماتنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" (١)

و - اجتماع النسوة :

وصل خبر إغراء امرأة العزيز الى جماعة من النسوة في المدينة، قيل: كن خمسة هن :-

امرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب. (٢)

وعندما سمعت زليخة باغتيابهن لها ومحاولة افشاء سرها امام الملأ قررت تلقين كل واحدة منهن درسا قاسيا حيال تصرفهن نحوها، واعتدت لكل واحدة منهن متكأ فلما حضرن، قدمت لكل واحدة منهن سكينا وأمرت يوسف عليه السلام أن يخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة، حـ ٧، ص١٢١ - ١٢٢.

(٢) تفسير ابي السعود حـ٤، ص ٢٧٠

قال تعالى : " وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا ، إنا لنراها في ضلال مبين ، فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ* وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا إن هذا الا ملك كريم ، قالت فذلكن الذى لمتنني فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ماءامره ليسجنن وليكونا من الصاغرين " (١)

يقول ابن كثير رحمه الله : (فلما رأينه أكبرنه) أى : أعظمنه وأجللنه وهبنه ، وما ظنن أن يكون هذا في بني آدم وبهرهن حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يجززن في أيديهن بتلك السكاكين ولا يشعرن بالجراح . (٢)

والتمسن العذر لامرأة العزيز فيما ذهبت اليه بطبيعتها البشرية العادية .

ولعل هذا يبرز سمو الإسلام في تشريع الحجاب وعدم الإختلاط .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آية (٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) .
(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٤١ .
معنى متكأ :
يعنى وضعت لهن نمارق ومساند يتكئن عليها تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص ١٦

ز - يوسف عليه السلام في السجن :

إعترفت امرأة العزيز عند ذلك للنسوة اللاتي لمنها فيه عندما رأت انهن فتن به ، ولكن النبي الكريم لم يلن ولم يتأثر أو يخضع لمراودة النسوة واغرائهن بل فضل السجن على الوقوع في شراك المعصية حيث لجأ إلى ربه عز وجل بالدعاء للخلاص من هذه المحنة التي وضع فيها ظلما ، قال تعالى : ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ، قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ، ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين " (١)

عند ذلك بدا لعزيز مصر وامرأته زليخة أن يسجنوا يوسف عليه السلام بعد أن ثبتت لهم براءته ونزاهته بضع سنين لتثبيت التهمة فيه امام الناس، ومن ثم صرفهم عن الخوض في الكلام عنها وعن مراودتها له ، وأنه هو الذى راودها عن نفسه وليست هي ، (وكان هذا مما قدر الله له ، ومن جملة ما عصمه به فانه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم) (٢)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥)
(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٤٣ ، بتصرف .

ح- دعوة يوسف عليه السلام إلى الله في السجن :-

دخل مع يوسف عليه السلام في السجن فتيان من خدم الملك هما :-

١- رئيس السقاة (نبو) .
٢- رئيس الخبازين (ملحب)[(١)] وقيل (مجلث)[(٢)]
وقد سجنهما الملك الريان لإئتمارهما على خيانته .

وعندما رأيا يوسف عليه السلام اطمأنا اليه وقد رأى كل واحد منهما رؤيا فأرادا أن يقصا عليه رؤياهما :-

فقال الأول : (لقد رأيت في منامي أني أعصر خمرا) .
وقال الثاني : لقد رأيت اني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ، فطلبا منه عليه السلام ان يؤول لهما مارأيا بعد أن لمسا فيه التقوى والاحسان والقدرة على تعبير الرؤى .

قال تعالي : ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي" (٣)

---

(١) مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام ، حـ١ ، ص ٦٥٠
(٢) قصص الانبياء لابن كثير ، ص ٢٤٣
(٣) سورة يوسف عليه السلام ، آية ٣٦-٣٧

لم يخبرهما عليه السلام بتأويل رؤياهما إلا بعد أن أوضح لهما أن الله تعالى آتاه من العلم والحكم فهو يعلم تأويل الرؤيا أيا كان نوعها سواء كانت الرؤيا في الطعام أو في الشراب أو غير ذلك من أنواع الرؤى ، لأن الله تعالى قد أختصه بها وما ذاك الا لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) .

قال تعالى : انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون" (١)

فوجد عليه السلام في ذلك فرصة تصفو فيها النفوس وتؤثر فيها المواعظ والتذكر بخالق الكون ومافيه فأخذ يدعوهما إلى عبادة الله الواحد الأحد ويبين لهم أن الذى يعبدانه ماهى الا أوثان وأصنام اتخذها آباؤهم وأجدادهم أربابا من دون الله الذى يجب أن تكون العبادة خالصة له وحده دون سواه (وكانت دعوته لهما في هذه الحال في غاية الكمال ، لأن نفوسهما كانت معظمة له منبعثة على تلقي مايقول بالقبول ، فناسب أن يدعوهما الى ماهوأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه) . (٢)

قال تعالى : ياصاحبي السجن ، ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ماتعبدون من دونه

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٣٧ ، ٣٨)
(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٤٤

إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (١)

وبعد أن دعاهما عليه السلام إلى الإيمان بالله عز وجل وتوحيده شرع في تفسير رؤياهما التي حددت مصيرهما لعل وعسى أن يستجيبا لما دعاهما إليه فقال أما أحدكما فسوف يخرج من السجن لإثبات براءته عند الملك الريان وهو رئيس السقاة .

وأما الآخر وهو الخباز فهو من جملة من ثبتت تهمتهم بمحاولة قتل الملك فيصلب ويموت ثم تأتي الطير وتأكل منه كما قال تعالى : " ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان " (٢)

ثم قال عليه السلام للذى ظن أنه ناج من القتل عند خروجه من السجن أن يذكره عند مليكه بأنه يوجد في السجن فتا بريئا سجن ظلما وبهتانا لعل في تذكيرك له الفرج والمخرج المرقوب .

ولكن ما أن خرج الساقي من السجن وذهب الى الملك حتى أنساه الشيطان ذكر يوسف عليه السلام عند ربه فمكث

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٣٩-٤٠)

(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٤١)

في السجن بضع سنين ليكون من الصابرين المتقين) .

قال تعالى : " وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين " (١)

قال الامام الخازن نقلا عن الرازي في قوله : " فأنساه الشيطان ذكر ربه قولان :

القول الأول :

(أنه راجع الى يوسف عليه السلام ، والمعنى : أن الشيطان أنسى يوسف أن يذكر ربه .

القول الثاني :

أن يقال أن قوله : " فأنساه الشيطان ذكر ربه" راجع الى الساقي .

والمعنى : أن الشيطان أنسى ذلك الفتى أن يذكر يوسف عليه السلام ، للملك حتى طال الأمر فلبث في السجن بضع سنين بهذا السبب .

وبعضهم : رجح القول الثاني لأن صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل أولى من صرفها الى يوسف عليه السلام ولأن الاستعانة في التخلص من المظالم جائزة ومشروعة .

قال الامام الخازن في قوله : " فأنساه الشيطان ذكر ربه " : في عود الضمير قولان : أحدهما :

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آية (٤٢)

أنه يرجع الى الساقي ، وهو قول عامة المفسرين .
والمعنى : فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك .

القول الثاني :

وهو قول أكثر المفسرين أن هاء الكناية يرجع الى يوسف .
والمعنى : أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر ، وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام ، فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف عليه السلام أعلى المقامات ورتبته أشرف الرتب لا جرم صار يوسف مؤاخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيآت المقربين) (١)

وقد رجح الامام الرازى القول الأول وقال : (وأعلم أن الحق هو القول الأول وما ذكره هذا القائل الثاني تمسك بمظاهر الشريعة وما قرره القائل الأول تمسك بأسرار الحقيقة ومكارم الشريعة) (٢)

ط - رؤيا ملك مصر :

شاءت إرادة الله تعالى أن تطل وتشرق بوادر لحظة الفرج التي طالما كان ينتظرها يوسف عليه السلام من وراء جدار

---

(١) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص ٢١

(٢) تفسير فخر الدين الرازى ، للامام محمد الرازى فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى حـ٥ ، ص ١٣٢ - الطبعة الثانية - بالمطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣٢٤ هـ دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

السجن وذلك عندما رأى الملك (الريان بن الوليد بن شروان بن أراشة ابن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح) (١) في منامه ذات ليلة رؤيا جمع على أثرها الملأ من الكهنة والسحرة ليفتوه فيما رأى فلم يستطع أحد منهم أن يقف على تأويلها أو تفهيمه بمغزاها وهدفها وما هذا إلا إظهارا أو إبطالا لعلم السحرة وشعوذة الكهنة ، الذين يدعون علم المغيبات من دون الله تعالى .

قال تعالى : " وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ، قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين" (٢)

قال أهل الكتاب :

رأى كأنه على حافة نهر ، وكأنه قد خرج منه سبع بقرات سمان فجعلن يرتعن في روضة هناك فخرجت سبع هزال ضعاف من ذلك النهر فرتعن معهن ثم ملن عليهن فأكلنهن فاستيقظ مذعورا ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر في قصبة واحدة وإذا سبع أخرى يابسات فأكلتهن فاستيقظ مذعورا) (٣)

وهنا تذكر الساقي الذي نجا من الموت يوسف عليه

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير، ص ٢٤٦
(٢) سورة يوسف عليه السلام، آية (٤٣ ، ٤٤)
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير، ص ٢٤٧

السلام وماهو عليه من القدرة على تأويل الرؤى والاحاديث فقال للملك الريان : أنا أخبركم بتأويل وتفسير هذه الرؤيا فابعثوني إلى يوسف الصديق لكي آتيكم بالنبأ العظيم .

قال تعالى : " وقال الذي نجا منهما وأدكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون " (١)

فلما وصل إلى يوسف عليه السلام وأخبره بما كان من أمر الملك وأمر الرؤيا وأن الملأ جميعهم عجزوا عن تفسيرها وتأويلها . (٢) أي أرسلوني إلى يوسف عليه السلام ولم يتأخر عن تفسيرها للساقي فقال له : إن هذه الرؤيا منها ما يكون في الخير والصلاح ومنها ما يكون في الشر وتكون وبالا على البلاد وأهلها .

أما ما تكون في الخير : فهي المفسرة بالسبع السمان وسوف تأتي سبع سنين يفيض فيها الخير الكثير فيعم البلاد ويصبح أهلها في مأمن من الجوع والفاقة ، فما زرعتم وحصدتم فأتركوه في سنبله ثم خذوا ما تحتاجون اليه في معاشكم مدة سبع سنين دون إسراف أوتبذير ، إستعدادا لمواجهة القحط والجدب اللذين سيجتاحان المدينة .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٤٥)
معنى : " وأدكر بعد أمة " أي تذكر بعد حين وهو سبع سنين وسمي الحين من الزمان أمة لأنه جماعة الأيام والأمة الجماعة .

(٢) تفسير الفخر الرازى ، حـ٥ ، ص ١٣٤ ، بتصرف

أما الناحية المفسرة بالسبع العجاف : فلا غيث ولا عشب حيث يسود الجفاف وتصبح الأرض قفرا لا ماء ولا زرع فيها ، فما ادخرتموه في السبع الخضر يكون قوتا لكم ولعيالكم تقتاتون به وتكونون بذلك قد تغلبتم وقضيتم على المجاعة التي ستجتاح هذه البلاد . (١)

وهذا دليل على كمال علمه وفهمه عليه السلام لما اختص به من رب العزة والجلال .

قال تعالى :" قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون " (٢)

عاد الساقي بعد ذلك الى الملك ليزف اليه البشرى في تفسير رؤياه التي مكن الله تعالى يوسف عليه السلام من تفسيرها وعندما قص عليه ما قاله يوسف عليه السلام سارع في طلبه واحضاره الى قصره .

ولكن يوسف عليه السلام رفض وأبى الحضور إلى الملك إلا بعد إثبات براءته ونزاهة شرفه من وصمة العار التي ألزقت

---

(١) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص ٢٢- ٢٣ بتصرف

(٢) سورة يوسف عليه السلام ، الايات ، (٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩)

به وزج بسببها الى السجن ومكث فيه ما يربو على السبع سنين بسبب التهمة الكاذبة من قبل امرأة العزيز التي تآمرت عليه عند ما رفض النزول على الوقوع في الفاحشة ، فقال : " وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم " (١)

أرجع يوسف عليه السلام الساقي وطلب من الملك أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند ما رأينه فاستجاب له الملك وسأل النسوة فقال (ما خطبكن) يريد امرأة وزيره وهو العزيز ما شأنكن وخبركن اذ راودتن يوسف عن نفسه ، يوم الضيافة . قالت النسوة جوابا للملك حاشا لله أن يكون يوسف متهما والله ما علمنا عليه من سوء ، فعند ذلك قالت امرأة العزيز)[٢] كما حكى القرآن عنها بقوله تعالى : " قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ، ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربي غفور رحيم " (٣)

<u>يقول ابن كثير في تفسيره :</u> قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد تقول الآن تبين الحق وظهر وبرز ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ، تقول اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أنى لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع للمحظور الأكبر وإنما راودته هذا

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٥٠)

(٢) تفسير ابن كثير ، حـ٢ ، ص ٤٨١

(٣) سورة يوسف عليه السلام ، الآيات (٥١ ، ٥٢ ، ٥٣) .

الشاب مراودة فامتنع فلهذا إعترفت ليعلم أني بريئة ولست ابرىء نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأن (النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي)

وقيل : - ان ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول ذلك ليعلم أنى لم أخنه في زوجته بالغيب .

قال ابن كثير : القول الأول أقوى وأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك) (١)

وبعد أن تأكد الملك من براءة يوسف عليه السلام بهذا الإعتراف وعلم رفض يوسف عليه السلام مغادرة السجن موءثرا البقاء فيه على الحرية أرسل بيشره ببراءته وعفته من قبل النسوة باعترافهن أمام الملأ وأنه يريده ليستخلصه لنفسه ويمكنه من البلاد يتصرف فيها حيث يشاء دون معارض أو منافس فقال : " وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين" (٢)

ى - تولى يوسف عليه السلام خزائن مصر :

استطاع يوسف عليه السلام بعد استخلاص الملك له وطلبه أن يجعله على خزائن الأرض لمقدرته وكفاءته .

---

(١) تفسير ابن كثير، حـ ٢ ص ٤٨١ ، ٤٨٢

(٢) سورة يوسف عليه السلام، آية (٥٤)

أن يدير البلاد بحكمة وصواب طوال السنوات السبع المخصبة إستعدادا للسبع الشداد وإنقاذ البشرية من الفقر والهلاك اللذين أشارتا اليهما رؤيا الملك والتي كانت سببا في قدوم إخوته عليه طلبا للرزق والقوت .

قال تعالى : " قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المسحنين" (١)

يقول ابن كثير : في هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم في نفسه الامانة والكفاءة . (٢)

وعندما دخل إخوة يوسف عليه السلام ليمتاروا منه عرفهم بأنهم أخوته ولكنهم كانوا له ناكرين لما كان عليه من عز الجاه والسلطان . قال تعالى : " وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون " (٣) ، كتم يوسف عليه السلام عنهم بأنهم إخوته وأنه أخوهم يوسف الذي ألقوه في الجب فجهزهم بما يحتاجون اليه من المتاع ، وعندما هموا بالرجوع من حيث أتوا بالزاد والمتاع فاذا به يأمرهم بامر له وقعه وأثره في نفوسهم وهو احضار أخ لهم من أبيهم اسمه بنيامين

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية ٥٥ ، ٥٦)
(٢) قصص الانبياء ، لابن كثير ، ص ٢٥٠
(٣) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٥٨)

كان قد تخلف عن الحضور معهم وبقي مع أبيه يؤنسه .

وأخبرهم بأن شرطه الوحيد كي يزودهم بالزاد في المرة الثانية هو إحضار بنيامين وإذا لم يحضروه معهم فلا كيل ولا وزن ولا تقربون مصر أبدا .

فكان أسلوبه معهم هو (الترغيب والترهيب) (١) حيث زودهم بالزاد ثم بعد ذلك ألقى عليهم شرطه الذي جعلهم في حيرة من أمرهم .

قال تعالى : " ولما جهزهم بجهازهم قال أئتوني بأخ لكم من ابيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون " (٢)

ك- رجوع إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم :

رجع إخوة يوسف عليه السلام الى أرض كنعان موطن أبيهم يعقوب عليه السلام كي يلقوا عليه قولا ثقيلا لعل وعسى أن ينزل عند طلبهم ويسمح لهم باصطحاب بنيامين إلى ملك مصر الذي منع عنهم الكيل إذا لم يحضروه معهم في العام المقبل ، وبعد محاولة شديدة لأبيهم واقتناع جلي تنازل عن بنيامين ولكن بعد أن أخذ العهد والموثق منهم بألا يغدروا ولا ينقضوا ماعاهدوا الله عليه في المحافظة عليه وارجاعه سالما من غير سوء .

---

(١) قصص الانبياء لابن كثير ، ص ٢٥٢ ، بتصرف
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، الايات (٥٩ ، ٦٠)

وكانت وصية الأب لأبنائه رغم تآمرهم عليه هو عدم الدخول من باب واحد إذا هم وصلوا الى مصر بل على كل مجموعة منهم أن تدخل من باب خشية الحسد وإصابة العين من قبل الممتارين وهو موقن بأن تنبيهه لهم لا يغني عنهم من الله شيئا لكن الحذر والاحتياط واجب لقوله تعالى: " قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (١)

وقوله: " يابني لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون " (٢)

وعند وصولهم الى مصر دخلوا على يوسف عليه السلام فآوى اليه أخاه بنيامين حيث أخبره بأنه أخوه يوسف وطلب منه كتمان ذلك عنهم، فطيب خاطره بعدم التأثر بما صدر منهم من إساءة اليه) (٣) لأن الله تعالى قد من عليه بنعمة الملك ونعمة النبوة وها هو يمن عليه بنعمة اللقاء به بعد طول الفراق ، ثم شرع عليه السلام في تدبير المكيدة لهم بأمر من الله تعالى، فجعل السقاية في رحل بنيامين كي يبقيه معه ويكون درسا لهم في صفاء النفس وتنقيتها من الحقد والكراهية ، ثم أذن مؤذن قائلا : أيتها العير انكم لسارقون صواع الملك وقد جعل الملك لمن جاء به زيادة حمل بعير.

---

(١) سورة التوبة ،آية (٥١)
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٦٧)
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير، ص ٣٥٤ ، بتصرف

قال تعالى : " ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ، فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ، قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ، قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم " (١)

وعند ما سمع الإخوة التهمة بالسرقة عادوا الى المنادي يسألونه عن المسروق الذي نودي من أجله فأخبرهم المنادي بأنهم سرقوا صواع الملك وأن وزير مصر قد جعل قدر حمل بعير جائزة لمن يأتي بالصواع (فأنبوه وهجنوه فيما قاله لهم) (٢)" قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين" (٣)

فوجه يوسف عليه السلام عند ذلك سؤال حد السرقة لمن وجد عنده الصواع .

" قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين " (٤) وهذه كانت شريعتهم أن السارق يدفع الى المسروق منه (٥) أسيرا عقابا له .

---

(١) سورة يوسف آية (٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢)

(٢) قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ص ٢٥٤
معنى الصواع : (الصاع) والصواع بالكسر وبالضم والصواع الذى يكال به وتدور عليه أحكام المسلمين أو الصاع غير الصواع ويؤنث) وهو أربعة أمداد كل مد رطل وثلث
المرجع : القاموس المحيط فصل الصاد
باب العين : جـ٣ ، ص ٥٥

(٣) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٧٣)

(٤) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٧٥)

(٥) قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٥٥

ثم شرع عليه السلام يفتش أوعيتهم حتى أخرج الصواع من وعاء بنيامين فأخذه أسيرا عنده .

وكان ردهم على يوسف عليه السلام عند إستخراجه الصواع . " قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل" (١) يقصدونه بذلك يوسف عليه السلام :

قال سعيد بن جبير وقتاده كان لجده أبي أمه صنم وكان يعبده فأخذه يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لئلا يعبده .

وقال مجاهد أن يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة "أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فأعطاها سائلا . وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء .

وذكر محمد ابن اسحاق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه فقال لاخته ياأختاه سلمي لي يوسف فوالله ماأقدر على أن يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال لها والله ما أنا بتاركه عندك فقال دعه عندى أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر أولاد اسحاق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحاق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٧٧)

يوسف فقالت انه لسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال إخوته "إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل"(١)

فالقرآن سماها سرقة باعتبار قولهم لبيان أن قلوبهم لم تصفوا على يوسف عليه السلام وقد حاول الإخوة إقناع يوسف بأن يأخذ أحدهم مكان بنيامين لأن له أبا شيخا كبيرا ولم يتنازل عن مجيئه معنا الا بعد أن اخذ علينا موثقا بألا نعود اليه الا ومعنا بنيامين ولكن محاولتهم باءت بالفشل مما اضطرهم الى العودة الى أبيهم واخباره بماكان من أمرهم.

(قال كبيرهم) أى في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس الكبير هو يهوذا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على إخوته. وقال قتادة والسدى والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا في يوسف لانه نهاهم عن قتله.(٢) قال : لاأبرح هذا المكان الا ومعي بنيامين أو يسمح لي أبي بالرجوع الى أرض كنعان.

قال تعالى : " قالوا ياأيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون، فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل مافرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين، ارجعوا الى أبيكم فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق

---

(١) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص ٣٤
(٢) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص ٣٥

وما شهدنا إلا بما علمنا وماكنا للغيب حافظين" (١)

فبعد أن عادوا الى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالأمر لم يصدقهم لأنه يعلم أن بنيامين بعيد كل البعد عن ارتكاب مثل هذه الجرائم لأنه لم يعهد فيه إلا الأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة ، ولكن الذي يقولونه هو من تسويل أنفسهم لهم بارتكاب مؤامرات الخداع والكذب عليه سواء مع يوسف عليه السلام أو مع بنيامين ولذلك قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" . (٢)

كان هذا جواب الأب الحزين على أبنائه الذين لم يجرب عليهم الا الكذب ونقض العهد والميثاق .

قال تعالى : " قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم " (٣)
يقصد بذلك بنيامين وروبيل أو يهوذا كما قيل . (٤)

ثم أعرض يعقوب عن بنيه (وقال ياأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (٥) لأن حزنه الجديد ذكره بالحزن القديم وحرك ماكان كامنا ، وعندما رأى بنوه مايقاسيه من الوجد وألم الفراق ، " قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين (٦) " أى لا تزال تتذكر يوسف حتى ينحل جسدك وتضعف قوتك فلو رفقت بنفسك كان أولى بك" (٧)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، الآيات (٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١)
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٨)
(٣) سورة يوسف عليه السلام ، آيه (٨٣)
(٤) قصص الانبياء لابن كثير ، ص ٢٥٧
(٥) سورة يوسف عليه السلام آيه (٨٤)
(٦) سورة يوسف عليه السلام آيه (٨٥)
(٧) قصص الأنبياء ، ص ٢٥٧

" قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون "(١) أي : أنني ألجأ الى الله تعالى أشكوا له حزنى وألمى لعل وعسى أن يجعل لي مخرجا مما أنا فيه وأن يجمعني بهم عن قريب لأنى أعلم بحكم نبوتي وعلمي مالا تعلمون أنتم من الله تعالى .

ثم طلب منهم عليه السلام أن يذهبوا ويتحسسوا في رفق ولين من يوسف عليه السلام لأنه يعلم بحكم علمه ونبوته أن هذا من تدبير يوسف كي تتحقق ارادة الله في أبنائه .

ولما وصلوا الى يوسف عليه السلام للمرة الثالثة .(٢) وأخبروه بما أصابهم وأهلهم من الجوع والقحط وأنهم جاءوا ببضاعة مزجاة ، أى رديئة كي يوفى لهم الكيل با لتصدق عليهم وأن الله تعالى سوف يجازيه بأحسن الجزاء مقابل تصدقه عليهم ، فانتهز عليه السلام الفرصة وذكرهم بالأحداث التى قاموا بها ضده وتجاهلهم له " قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون " (٣)

فبهتوا واستكانوا لما أصابهم من المفاجأة التى فاجأهم بها يوسف مما اضطرهم إلى الإعتراف به وبأخيه دون تردد " قالوا أءنك لانت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المسحنين ، قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين" (٤)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (٨٥)
(٢) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، حـ ٤ ،ص ٢٢٦ بتصرف .
(٣) سورة يوسف عليه السلام ، آيه (٨٩)
(٤) سورة يوسف عليه السلام ، آيه (٩٠ ، ٩١) .

وبعد تطمين يوسف عليه السلام لإخوته بأن الله تعالى سيغفر لهم ماتقدم من ذنبهم وما تأخر لأن رحمته وسعت كل شيء طلب منهم أن يذهبوا الى أبيهم يعقوب عليه السلام بقميصه ويلقوه على وجهه حتى يرتد اليه بصره حينئذ يلقي عليه القميص وأن يأتوه بأهلهم أجمعين .

قال تعالى : " قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، إذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين" (١)

وعندما ذهبوا الى الشام وشارفوا الوصول الى أبيهم قال لهم يعقوب عليه السلام انى أشتم رائحة يوسف تدنو وتقترب منى ، قال ابن عباس . فوجد ريحه من مسيره ثلاثة أيام .

وقال الحسن البصرى وابن جريج المكى : كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخا ، وكان له منذ فارقه ثمانون سنة. (٢)

قال تعالى : " ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم" (٣)
وقوله : لولا ان تفندون " أى تقولون إنما قلت هذا الفند وهو الخوف وكبر السن .
فاتهموه بانه مازال في حبه وتفضيله ليوسف عليهم .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٩٢ ، ٩٣)
(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٦٠
(٣) سورة يوسف عليه السلام، آية (٩٤ ، ٩٥)

ثم جاء البشير وألقى القميص على وجهه عليه السلام وكانت معجزة الله تعالى تتحقق في رد بصره اليه مرة أخرى بمجرد القاء القميص على وجهه، وأخبر أبناءه بأنه على علم ويقين من الله تعالى بالمغيبات الإلهية وهذه أول بشرى في تحقيق ما يخبرهم به وتصديق ذلك، فطلبوا منه أن يستغفر لهم ربهم لأنهم هذه المرة صادقون فيما عزموا عليه فوعدهم عليه السلام بطلب المغفرة من الله تعالى فهو غفور يغفر الذنوب كلها رحيم بعباده التائبين الراجعين اليه .

ل - دخول مصر :

صحب يعقوب عليه السلام بنيه وأهله ورحل الى مصر يطوى الزمان والمكان ليتم اللقاء بعد طول البعاد وانقضاء الأيام وبعد الحال المصحوب بالأمل تارة والقنوط مرة أخرى حتى وصل الى أرض مصر والتقى بيوسف عليه السلام واجتمع بهم "وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين".(١)

وعند أهل الكتاب : أن يعقوب لما وصل الى أرض جاشر وهى أرض بلبيس - خرج يوسف لتلقيه وكان يعقوب قد بعث ابنه يهوذا بين يديه مبشرا بقدومه وعنهم أن الملك أطلق لهم أرض جاشر يكونون فيها، ويقيمون بها بنعمهم ومواشيهم.(٢)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (٩٩)
(٢) قصص الانبياء لابن كثير، ص ٢٦٢ .

(ورفع أبويه على العرش ، (قيل : أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة . وقال بعض المفسرين : أحياها الله تعالى .
وقال آخرون : بل كانت خالته (ليا) والخالة بمنزلة الأم .
وقال ابن جرير وآخرون : بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه إلى يومئذ ، فلا يعول على نقل أهل الكتاب فيما خالفه ، وهذا قوى ، وهو الرأى الراجح . (١)

وسجدوا له جميعا تعظيما وتكريما واجلالا لفضله ومقامه الكريم وتحقيقا لرؤياه التى رآها منذ الصغر" ورفع أبويه على العرش وخرجوا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم .(٢) اذا أراد شيئا هيأ أسبابه ويسرها وسهلها من وجوه لا يهتدى اليها العباد بل يقدرها وييسرها بلطيف صنعه وعظيم قدرته . (٣)

ونجد يوسف عليه السلام في هذه اللحظة لحظة إتمام النعمة عليه ولحظة لقائه بأبويه وإخوته وبسجودهم له يجرد نفسه من كل ما هو فيه ويلجأ إلى الله بالشكر والثناء والإعتراف بجزيل إحسانه وامتنانه عليه ويسأله أن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصالحين .

(وقد ذكر ابن اسحاق عن أهل الكتاب : أن يعقوب أقام بديار مصر عند يوسف سبع عشرة سنة ثم توفى عليه السلام

----

(١) قصص الانبياء ص ٢٦٣
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آيه (١٠٠)
(٣) قصص الانبياء لابن كثير ، ص ٢٦٣

وكان قد اوصى إلى يوسف عليه السلام أن يدفن عند أبويه إبراهيم وإسحاق .

كما ذكر أن يوسف عليه السلام عندما حضرته الوفاة أوصى كذلك أن يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحنطوه ووضعوه في تابوت فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفن عند آبائه فمات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين . (١)

قال تعالى : " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين". (٢)

وقد ذكر سفر التكوين أن يوسف عليه السلام قد تزوج اسنات بنت فوطي فارع كاهن أون وأنها أنجبت له أفرايم ومنسى .(٣)

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، وكتاب الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، حـ٩ ، ص ٢٧٠

(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (١٠١)

(٣) سفر التكوين الاصحاح السادس والأربعون ، ص٤٦

الفصل الثاني

العبر المستفادة في مجال تربية الفرد

العبر المستفادة في مجال تربية الفـــــــرد

تمهيد :

رعاية الأب لابنائه إحدى التوجيهات الرئيسية الـــتي وجهنا إليها القرآن الكريم وضرب لنا المثل عليها بتربية ورعايـــة الأبناء خاصة يعقوب عليه السلام الذى كانت قصة يوسف عليــــه السلام الدليل والشاهد على رعايته وتربيته لابنائه ، اذ كـــان يعقوب عليه السلام لا يتوانى عن نصحهم وإرشادهم والتقـــرب إليهم في كل ما يفيدهم ، ويشعرهم بمدى رعايته واهتمامــــه بهم ، وأنه معهم في كل لحظة من لحظات حياتهم ، لذلك إتجــه يوسف عليه السلام إلى أبيه عند ما رأى رؤياه المنامية ليعلـــم منه التأويل إذ لم يكن له عهد بإدراك الرؤيا وتأويلها ، ولـــولا حب أبيه له وعطفه عليه لما قصده فيما شغله ولا تجه الى آخـــر يثق فيه ، ولكن الوالد عليه السلام كان يقوم بدوره كوالـــد رحيم مع أبنائه جميعا ومنهم يوسف عليه السلام .

وقد إستطاع يعقوب عليه السلام بحكم علمه ونبوتـــه أن يوضح ليوسف عليه السلام ما رأى باسلوب بليغ أو صلـــه الى التأويل المراد من الرؤيا من حيث دلالتها على الاختيار الآلهى الذى خصه الله به ، والذى سيعلوا به على أهله قدرا ومنزلــة ومنهم إخوته الذين لمس فيهم غيرتهم من يوسف أخيهم موضحـــا الدافع الأساسي إلى هذه الغيرة وهو الشيطان والعدو المبيـــن للانسان (فهو يوغر صدور الناس بعضهم على بعض ويزيـــن لهم الخطيئة والشر. (١)

---

(١) في ظلال القرآن ، حـ٤ ، ١٩٧١ ، ص .

وقد بين يعقوب ليوسف عليهما السلام وبصورة مجملة ما تدل عليه الرؤيا من حيث اختياره للرسالة ، وتعليم التأويل وتمام نعمته سبحانه وتعالى عليه ليكون فضل الله ممتدا الى يوسف كما كان عند آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام .

يقول الله تعالى : " إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ، قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم" .(١)

فهذه الآيات الكريمة تشير الى مابين الوالد والولد من تجاوب وتشاور ، وهذا يوضح لون التربية التى ربى بها يعقوب عليه السلام إبنه يوسف عليه السلام وقاده بواسطتها إلى طاعة الله تعالى وتحمل المحن والشدائد .

والدروس من هذه التربية عبرة للمسلمين يستفيدون بها في حياتهم وفي تربيتهم لابنائهم .

وسيكون هذا الفصل مشتملا على أهم هذه الدروس اذ سأعقد مبحثا لكل درس ولذا سيكون الفصل من المباحث التالية :

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، الآيات (٤ ، ٥ ، ٦)

* *

المبحث الأول

اكتشاف خصائص الفطرة عند الولد

المبحث الأول

اكتشاف خصائص الفطرة عند الولد

يولد الطفل على فطرة الدين الاسلامي ، وهو عند أبويه أمانة تحتاج الى الرعاية والعناية .

وأفضل الرعاية ما يأتي متفقا مع فطرة الطفل ودوافعه الأساسية ولذا كان على الآباء أن يبحثوا عن مكونات ولدهم الأساسية لينطلقوا في توجيهه متفقين مع فطرته التى فطره الله عليها ،

ولهم في قصة يوسف عليه السلام وتصرف أبيه يعقوب عليه السلام معه درس .

فلقد اكتشف يعقوب عليه السلام في ولده يوسف عليه السلام التدين والميل الى معرفة الله وحب اكتشاف تأويل الروى والأحاديث فوجهه نحو الاستزادة من ذلك ، وقال له ما حكاه الله سبحانه وتعالى في قوله : " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم" (١)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٦)

وهكذا بشره باجتباء الله له واعلاء منزلته على سواه ثم ذكر له نعمة الله التى سيتمها عليه وهى نعمة النبوة التى جعلها الله من قبل لإبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وأخيرا عرفه أن الله تعالى سيكرمه بأن يعلمه من التأويل والتفسير ما يتميز به ، وكل ذلك ليوسف عليه السلام من الله العليم بكل شىء الحكيم في قضائه ، وهذه الجوانب التي ذكرها يعقوب تتفق مع فطرة يوسف وميوله ولذلك سعد بها وانتظرها وتفاءل بأخبارها .

وقد فصل العلماء في معنى الأمور التى بشر بها يعقوب عليه السلام ولده يوسف عليه السلام والتى تضمنتها الآية .
قال الزجاج : ومعنى (يجتبيك) : يختارك و يصطفيك) (١)

واختلفوا في المراد بهذا الاجتباء :

فقال الحسن : يجتبيك ربك بالنبوة ، أى يصطفيك بالنبوة .
وقال آخرون : المراد منه إعلاء الدرجة وتعظيم المرتبة فأما تعيين النبوة فلا دلالة في اللفظ عليه . (٢)

---

(١) لسان العرب ، للامام العلامة ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى ، حـ١٤ ، ص ١٣٠-١٣١ مادة اجتبى ، طبعة جديدة وبها مقدمة الطبعة الاولى ، دار صادر بيروت.

(٢) تفسير الرازى ، حـ٥ ، ص ١١٤

ومعنى التعليم :

قال الامام الخازن : يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم ، وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا . (١)

وقال الامام البغوى في تفسيره : " يعلمك من تأويل الأحاديث" (يريد تعبير الروءيا ، سمي تأويلا لأنه يوءول إلى مارأى في منامه ، والتأويل : مايوءول اليه عاقبة الأمر) . (٢)
وبمثل هذا المعنى فسره الأمام الرازى (٣)

وأما معنى النعمة : فقد ذكر العلماء لها عدة أقوال .

القول الأول :

قال الامام الرازى : أن من فسر الاجتباء بالنبوة لا يمكنه ان يفسر اتمام النعمة ههنا بالنبوة والا لزم التكرار . بل فسر اتمام النعمة ههنا بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة .
وأما من فسر الاجتباء بنيل الدرجات العالية فهمهنا يفسر إتمام النعمة بالنبوة ، ويتأكد هذا بأمور :

---

(١) تفسير الخازن ، حـ٣ ، ص ٢١٥
(٢) تفسير البغوى ، الامام ابى محمد الحسن الفراء البغوى من هامش الخازن ، حـ٣ ، ص ٢١٥
(٣) تفسير الرازى حـ ٥ ، ص ١٠٤ بتصرف

الأول : ان اتمام النعمة عبارة عما به تصير النعمة تامة كاملة وما ذلك في حق البشر الا بالنبوة .

الثاني : قوله " كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق " ومعلوم أن النعمة التامة التي بها حصل امتياز إبراهيم وإسحاق عن سائر البشر ليس إلا بالنبوة فوجب أن يكون المراد باتمام النعمة هو النبوة .

القول الثاني :

أن المراد من قوله " ويتم نعمته عليك " خلاصه من المحن .

القول الثالث :

أن اتمام النعمة هو وصل نعمة الله عليه في الدنيا والآخرة بأن جعلهم في الدنيا أنبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العليا في الجنة . (١)

وقال الامام الرازى :

القول الصحيح هو الأول لأن النعمة التامة في حق البشر ليست الا النبوة وكل ما سواها فهو ناقص. (٢)

---

(١) تفسير الرازى جـ ٥ ،ص ١٠٤ ، ١٠٥
(٢) تفسير الرازى حـ ٥ ، ص ١٠٥

وقال الشيخ الدمشقي :

في معنى " ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب" أتم الله نعمته على يوسف بنجاته من الموت بيد إخوته ، ثم بنجاته من الجب سالما ، ثم بظهور سلامة عرضه ، ثم بخروجه من السجن بصورة تكفل شرفه وناموسه ، ثم بجلوسه على عرش مصر عزيزا .

كما أتمها بأفضل من ذلك كله وهو النبوة والرسالة وايتاء الحكم والعلم . (١)

وقال الامام الخازن فى معنى : " ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب " (٢) (يعنى النبوة) .

فيعقوب عليه السلام وجه ولده نحو الأمنيات الطيبه التى كان يتمناها والتي بشره الله بها ، وبذلك فهو توجيه الفطرة لها ، وله أثره الجميل على الولد ينشطه ويدفعه الى الهدوء ، وينميه فكريا وجسديا .

وذلك درس للآباء فعليهم أن يعملوا على إكتشاف خصائص أبنائهم الكامنه في حركاتهم ، وبواطنهم ، والعمل على تنميتها ، لتنتظم بها علاقات الابن الإنسانيه والإجتماعية في إطار الأسس

---

(١) موءتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام حـ ١ ، ص ٢٥٥

(٢) تفسير الخازن حـ ٣ ، ص ٢١٥ .

الاسلاميه المتكاملة المستمدة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية التى جاءت حاضة الآباء على ملاحظة ومراقبة أبنائهم كى ينهجوا معهم نهجا يتفق مع استعداداتهم وميولاتهم الفطرية التى فطر الله الناس عليها (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون. (١)

ان التربية اعداد وتعهد من الخارج واستجابة وتقبل من الداخل وعلى الوالدين تقع مسؤولية التربية والتوجيه) (٢)

ومن المعلوم أن اكتشاف خصائص الطفل المبكرة ومعرفة ميوله الذاتية أكبر كاشف لما يناسبه من مناهج تربوية سليمة .

إن الطفل الذى يبحث عن الأسباب وأسرار ما يرى بحواسه يمكن تنميته بالعلوم النظرية، والذى يميل الى الحل والتركيب يمكن توجيهه الى العلوم العملية .. وهكذا .

كما أن الهدوء والحركة وغير ذلك من مؤثرات يمكن الاستفادة بها وبدلالاتها لتوجيه الطفل نحو إستعداده وفطرته .

والآباء وحدهم من الناس هم الأقدر على فهم أولادهم فهم معهم منذ مولدهم وبملاحظة تصرفاتهم يمكن وضع

----

(١) سورة الروم آيه (٣٠)
(٢) الطفل المثالي في الاسلام- نشأته - رعايته - أحكامه، تأليف عبدالغنى الخطيب ص ١٢٢ - ١٢٣ - الطبعة الأولى ١٤٠٠ - ١٩٨٠م المكتبة الاسلاميه للطباعة والنشر - بيروت لبنان .

تصور صحيح عن فطرتهم وميولهم .

ويجب أن يكون واضحا أن التناقض بين الاستعداد والتوجيه أمر شاق على الطفل ، يضره أكثر مما يفيده ، ولذا كان اكتشاف خصائص الفطرة وتنميتها ، وتقديم المناهج على أساسها ، من القضايا الاساسية في التربية .

وذلك درس مستفاد من قصة يوسف عليه السلام ، وهو نفس منهج الاسلام يجب إتباعه والعمل به .

المبحث الثاني

الاهتمام بصحّة الولد الجسميّة

المبحث الثاني

الاهتمام بصحة الولد الجسميه

من الأمور التى أوجبها الاسلام على الآباء الاهتمام بسلامة الصحة الجسمية للأبناء منذ الصغر لينشأوا على أساس قوى وبنية سليمة تدل على صحة عقولهم وسلامة أفكارهم .

لقد إعتنى يعقوب عليه السلام بأبنائه الأثنى عشر حيث كان يخرجهم الى المراعى لمزاولة النشاط واللعب لتكمل صفاتهم الجسمية والنفسية والروحية وينموا ذكاءهم وقدراتهم الفكرية والعقلية والنفسية على التأمل ، والتفكير ، وحسن التصرف ، والتدبير ، وبذلك تكون لديهم القدرة على السير وتحمل الشدائد والثقة والاعتزاز .

كما جاء على لسانهم في قوله تعالى : (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) . (١)

ومعنى يرتع : أن يتسع في أكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ .

----

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (١٢) .

ومعنى يلعب: بالاستباق والتناصل ونظائرها مما يعد من باب التأهب للغزو) . (١)

لقد كان لهم فكرهم، ولهم رأيهم فيما يعين لهم من أمور المعاش والحياة، وما ذلك إلا للعناية الكبيرة والتربية العلمية والرياضية التي قام بها يعقوب عليه السلام نحو أبنائه .

ولم يقم إخوة يوسف بهذا الأمر إلا لأنهم يعلمون أنها أسباب تؤدي إلى الموافقة على إرساله معهم .

إن الطعام اللذيذ الكثير التنوع واللعب الرياضي يساعد على سلامة الجسد وتكوين الشخصية وتكاملها والتزامها .

وقد حث الاسلام على إمداد الولد بكل ما يقوي جسده وينمي مداركه الشخصية والتزامها حتى يستطيع اذا بلغ سن التكليف أن يقوم بالواجبات الانسانية على أتم وجه وأكمل معنى .

---

(١) تفسير ابى السعود حـ ٤، ص ٢٥٧

المبحث الثالث

الاهتمام بالجانب النفسي عند الطفل

المبحث الثالث

الاهتمام بالجانب النفسي عند الولد

الانسان مكون من جسد وروح ، أو جانب مادي وآخر معنوي باطني ، ولابد من العناية بهما لينشأ الانسان سويا مستقيما .

وقد علمنا من قصة يوسف عليه السلام بضرورة الإهتمام بهذا الجانب في التنمية .

وفي المبحث السابق تكلمت عن الإهتمام بالجانب الجسدي وذلك بتحسين الطعام والاستفادة من الرحلات والألعاب الرياضية ، وتلك أمور إهتم الإسلام بها ونظمها للطفل منذ مولده .

وفي الجانب النفسي نرى : أن يعقوب عليه السلام كان حريصا على تهيئة البيئة الهادئة حول يوسف ، الخالية من كل حقد وكراهية قال تعالى : (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين) . (١)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (٨) .

وقد أراد الله أن ينشأ يوسف في بيت عزيز مصر محاطا بالرعاية والعناية حتى بلغ أشده واستوى .

إن هذا الجانب من قصة يوسف عليه السلام يعطينا درسا في ضرورة العناية بالجانب النفسي لدى الولد وذلك أمر إهتم الاسلام به وأولاه عناية خاصة ، وفق منهج منظم .

فلقد جاء الشارع الحكيم حاضا الآباء على تخير الزوجة الصالحة لتكون النطفة الصالحة نقية كما حض على أن يكون الأبوان ذا بنية قوية صحيحة لتكتمل سلامة الولد من جميع النواحي الجسمية والعقلية والنفسية .

روى البخارى عن أبي اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج من ذات يده " . (١)

فانتقاء الزوجة الصالحة له أهميته في تربية الأطفال وتنشئتهم النشأة الصالحة لأنها توثر في ذاتهم فيكسبون منها بعض صفاتها الجسمية وتصرفاتها السلوكية ، كما أن عامل الوراثة له تأثيره على الاطفال .

---

(١) صحيح البخارى باب الى من ينكح وأى النساء خير ما يستحب أن يتخير لنطفة من غير ايجاب حـ ٦ ، ص ١٢٠

فهم يرثون الصفات الأساسية من الأبوين ، بل إن عامل الوراثة يمتد إلى الآباء والأجداد .

ولذلك كان إهتمام الاسلام بتخير الزوجة والزوج ضمانا لمصلحة الولد .

وعلى الآباء أن يحافظوا على صحة أبنائهم النفسية لأن أمراض النفس أخطر على الولد من أمراض البدن ، بل إن علة النفس تكون غالبا أخطر من أمراض البدن ، بل إن علة النفس تكون غالبا سببا لعلة البدن . والمحافظة على نفسية الولد تحتاج مراعاة ما يلي :-

١- <u>معاملة الأولاد معاملة حسنة :</u>

نلاحظ حسن معاملة يعقوب عليه السلام لأولاده جميعا حيث نجده عليه السلام يناقشهم مناقشة هادئة خالية من العنف والشدة ومن هذه المناقشة ما ذكره الله تعالى حين طلبوا منه يوسف عليه السلام للذهاب معهم قال لهم : " قال إنى ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون " (١)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه : (١٣)

وحينما جاءوا اليه بدم كذب قال لهم: " بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون". (١)

وحينما أخذوا بنيامين أخاهم الى يوسف عليه السلام ليتمكنوا من إحضار مؤونتهم ، وحدث ما أدى الى حجز بنيامين عند يوسف عليه السلام . وهو أمر لم يكن معروفا سره لهم ولا لأبيهم لما حدث ذلك قال لهم مقالته السابقة : بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل" وأنه في الحالتين متألم النفس ومع ذلك يقابل كل حالة بالصبر الجميل الذى يجعله يتجه إلى الله فقط، ويستعين به وحده سبحانه وتعالى وذلك خلق من رسول الله يعقوب يجب أن نستفيد به في مجال تربية وتوجيه الابناء . ومن هنا نرى الاسلام يلزم الأبوين مسئولية التربية السليمة والمعاملة الحسنة حتى لا يضل الأبناء وينحرفوا عن الطريق القويم، وقد وضع الله تعالى من الرحمة والعطف في قلوب الأباء ما يجعلهم حريصين على تقويم أبنائهم اخلاقيا وسلوكيا ، وتنشئتهم (على الجرأة والصراحه والشجاعة ، والابتعاد بهم عن المعاملة القاسية، والتأديب بالضرب الشديد والتوبيخ الفارع، والتحقير والازدراء والتشهير والسخرية حتى لا تظهر ردود الفعل في سلوكه وخلقه ، وأن ظاهرة الخوف والانكماش ستظهر في تصرفاته وأفعاله وقد يؤدي به الامر الى الإنفجار أو إلى مقاتلة أبويه، أو إلى ترك البيت نهائيا ، تخلصا مما يعانيه من القسوة والمعاملة الأليمة.) (٢)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه : (١٨)

(٢) تربية الأولاد في الاسلام،عبدالله علوان ،حـ١ ،ص ١٢٦ ، ٢٩٩ .
الطبعه الثالثه دار السلام للطباعه والنشر والتوزيع - بيروت .

ولأن فظاظة القلب وغلظته يولدان الحقد والكراهية والخروج على طاعة الوالدين ، ومعصيتهما ونلمس ذلك من قوله تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين " . (١)

إن الأمن والطمأنينة للأطفال يقويان شعورهم وينميان فيهم روح الثقة بالوالدين إذا ما اهتما بهم ونزلا عند رضائهم وحاجاتهم (مع إيجاد سلطة ضابطة ترسم لهم الحدود وتبين لهم ما يجب عمله وما يجب تركه وماذا يحيق بهم ان حادوا عن السلوك المرغوب) . (٢)

٢- تجنب ما يوءذى الولد :

الشعور بالنقص حالة نفسيه تعترى بعض الأطفال لأسباب خلقية أو مرضية أو عوامل تربوية أو ظروف اقتصادية وهي من أخطر الظواهر في تعقيد الولد وانحرافه وتحوله الى حياة الرذيله والشقاء والاجرام) . (٣)

---

(١) سورة آل عمران آيه (١٥٩)
(٢) أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح ، ص ٦٠٤ ، الطبعه الثامنه - ١٩٧٠م - المكتب المصرى الحديث ، للطباعه والنشر الاسكندرية .
(٣) تربية الأولاد في الاسلام حـ ١ ، ص ٣١٦ .

وأهم العوامل التي تؤذي الأولاد التحقير والاهانة. وهو من العوامل التي تؤدي الى شعور الولد بالنقص في ذاته وبين قرنائه من الأولاد وذلك عندما يسلك الأبوان طرق التحقير والإهانة له أمام الناس حين ينحرف أول مرة عن سنن الأخلاق الكريمة فاذا كذب مرة نودي بالكذاب واذا ضرب أخاه الصغير مرة واحدة ناديناه بالشرير، وإذا احتال على إخوته ناديناه بالمحتال، وإذا أخذ من جيب أبيه قلما ناديناه بالسارق)⁽¹⁾. نلحظ أن يعقوب عليه السلام كان يوجه أبناءه نحو الخير بطريقة هادئة بعيدا عن ايذائهم ومجابهتهم ونلمس ذلك عندما جاءوا اليه وقالوا له كما قال تعالى: (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين، وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)⁽²⁾.

وقد يناديه أبواه ببعض الكلمات التي يكرهها مما يجعله ينظر إلى نفسه نظرة إحتقار وكراهية فيشعر بالنقص ويرى نظرة كل فرد يلقاه نابعة عن الاستهزاء والسخرية فيحقد على المحيط الذى يعيش فيه وينطوي على نفسه بعيدا عن أفراد أسرته ونكون بذلك قد قضينا عليه وعلى حياته من خلال هذه المعاملة القاسية التى ينبغي أن يبتعد عنها الآباء وأن يسلكوا مع ابنائهم

---

(١) تربية الأولاد في الاسلام ج١، ص ٣١٧
(٢) سورة يوسف عليه السلام آيه ١٧ - ١٨ .

الطرق السليمة في توجيههم والإبتعاد بهم عن الخطأ في رفق ولين دون التعرض للعقاب والقسوة من أول وهلة .

وقد جاء فيما روى عنه صلى الله عليه وسلم في الحث على العطف والرحمة بالأولاد . قال البخارى : " حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى حدثنا ابو مسلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحد فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " من لا يرحم لا يرحم " (١)

١- **التكليف باعمال اجتماعية :**

إحساس الولد بأنه ذو إعتبار وتقدير وانه موضع قبول من الاخرين بعيدا عن الاستهجان أو الكراهية يساعد ذلك على نجاحه في أعماله التى يقوم بها قوي الثقة بالمحيط الذي يعيش فيه لاعترافهم به واحساسهم بوجوده .

فابناء يعقوب كانوا يقومون بواجباتهم الاجتماعية نحو أبيهم واهلهم دون تقصير أو مقابلة ذلك بالاستهجان او السخرية من يعقوب عليه السلام وقد قاموا باحضار الميرة الى اهلهم عدة مرات عندما ساد بلاد الشام القحط والجدب كما قال تعالى :- (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين) . (٢)

٢- **السماح لهم بالتعبير الذاتي :**

وتبدو هذه الحاجة في ميل الولد الى التعبير عن نفسه والإفصاح عن شخصيته في كل كلامه واعماله وما يقدمه

---

(١) صحيح البخارى باب رحمة الولد وتقبله ومعانقته جـ ٧ ، ص ٧٥
(٢) سورة يوسف عليه السلام ايه (٨٨) .

من خدمات للآخرين ومما يحبط هذا التوكيد الذاتي تحكم الكبار وتدخلهم في وجوه النشاطات التى يقوم بها أو الاسراف في تقييد الولد والسخرية من أسئلته وأفكاره واشعاره بأنه عديم القيمة والأهمية . (١)

فيوسف عليه السلام عندما جاء إلى أبيه وقص عليه رؤيته بقوله تعالى : (إذ قال يوسف لابيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) (٢) تجاوب معه وبشره بها وسر معه فقال : - (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم) (٣)

٣ - الحاجة إلى الحرية والإستقلال :

كثيرا ما يميل الولد الى حرية الرأى والتصرف في أعماله دون تدخل من والديه فهو يرفض أن تساعده أمه في إرتداء ملابسه وتعديلها كما يرفض أن تقوم باختيارها له أو ترتيب كتبه وألعابه ليثبت شخصيته أمامهما ، وتبدو هذه الحرية على المراهق بشكل واضح إذ يتوق إلى الاستقلال المفرط

---

(١) أصول علم النفس الدكتوراحمدعزت راجح ص ٦٠٥ ، ٦٠٦
(٢) سورة يوسف عليه السلام آيه (٤)
(٣) سورة يوسف عليه السلام آيه (٦)

وتقرير أموره بنفسه دون تدخل من والديه والى أن تكون له حجرة خاصة به ويجب أن تستغل هذه الحاجة في تعويد الولد الإعتماد على نفسه وتحمل المسئولية . (١)

إن الإرشادات الاسلامية في المحافظة على الولد نفسيا تلتقي مع ما يستفاد من قصة يوسف عليه السلام، إن يعقوب عليه السلام لم يعنف أبناءه حينما جاءوا على قميصه بدم كذب، وانما اكتفى باشارات خفيفة حيث قال لهم: " بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" (٢) وكرر لهم مقالته حينما حبس أخوهم إنه في كل ذلك اكتفى بالتلميح وصبر صبرا جميلا ، ولذلك أثره الحسن في تربية الولد والمحافظة على نفسيته .

---

(١) أصول علم النفس الدكتور احمد عزت راجح ، ص ٦٠٦ ،
(٢) سورة يوسف عليه السلام آيه (١٨) .

المبحث الرابع

تنشئة الولدِ عَلى حُبِّ اللهِ وَعِبَادتِهِ

المبحث الرابع

تنشئة الولد على حب الله وعبادته

في سورة يوسف عليه السلام آيات وعبر قصها الله تعالى علينا لتكون مرآة نستضيء بها ونحن نعيش مع قصة يوسف عليه السلام في كل أطوارها ومراحلها ، وبذلك يتحقق الهدف من ورود قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم وإن كان رسولا إلا أنه عاش حياة البشر محاطا بعناية الله ورعايته .

لقد إهتم يعقوب عليه السلام بتربية ولده على حب الله تعالى وحب عبادته حتى جعل منه النبراس الذى يستضاء به والقدوة الحسنة التي يقتدى بها ، والطريق الذى نهجه يعقوب عليه السلام في تنشئة ابنائه على حب الله وعبادته هو الطريق الأفضل لكل معتبر يقول الله تعالى : " لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين " (١) أى علامات وعبر وعظات نافعة ينتفع بها كل من يريد سبيل الهدى والرشاد ليصلح بها أبناءه في دينهم ودنياهم اقتداء بيعقوب عليه السلام حينما تولى تربية يوسف حيث استطاع أن يغرس في روحه الطاهره وهو غض طرى حب الله وعبادته ، والثقه به ، والاطمئنان اليه ،

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (٧) .

فهو سبحانه الذى أنزل الوحي عليه ليزيده إيمانا ويقينا ، ويبشره بأنه تعالى قد اختاره نبيا مرسلا من عنده لتحقق شرط النبوة فيه وهو الايمان الكامل والاستقامة التامة " فجدد فيه ناموس وجوده في الارض وجعل في حياته غاية ممدودة مرسومة تربطه بناموس الوجود والاحياء ." (١) حيث قال له : " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك .." (٢) ، فأرشده من أول لحظة الى مصدر الخير وموجده وهو الله تعالى .

لقد إستفاد يوسف بذلك كله ، فكان سلطان طاعة الله وعبادته في نفسه طاغيا على سلطان هواجس النفس، ودوافع الشهوة ، فحبسها عن كل ما يغضب الله ، وكان عليه السلام يصل الروح والقلب باللجوء الى الله عز وجل ليبتعد عما هو فيه خلال المحنة التى بلغت ذروتها مع امرأة العزيز حيث كانت رحمة الله تعالى محيطة به في كل لحظة من لحظات عمره بالنبوة تارة وبالبرهان تارة أخرى .

قال تعالى : " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين". (٣)

----

(١) منهج القرآن في التربية - محمد شديد ، ص ١٠٢ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٢) سورة يوسف عليه السلام آيه (٦)

(٣) سورة يوسف عليه السلام آيه (٢٣ ، ٢٤) .

ومعنى (هيت) : تهيأت لك .

وقد طلبت امرأة العزيز من يوسف عليه السلام الفعل القبيح ودعته الى نفسها وقالت : (هيت لك) أى : هلم وأقبل ولكن جواب يوسف الصديق لها وصدها هو اللجوء الى الله عز وجل بالاستعاذة بالله والاعتصام به مما تدعوه اليه من خيانتين :

الخيانة الاولى : لخالقه وبارئه سبحانه وتعالى .

الخيانة الثانية : لمربيه الذى أحسن مثواه وهو عزيز مصر " قطفير " (١) فقال عليه السلام : " معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون " .

وقد اختلف العلماء في معنى الهم :

قال المفسرون : الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه ،

وقيل : الهم مصدر هممت بالشىء اذا أردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه . فمعنى قوله (ولقد همت به) أى أرادته وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا .

وقيل : هم بضربها ودفعها) (٢)

ويذهب ابو عبيدة الى نفي الهم عن يوسف عليه السلام ويرى ان في الآية تقديم وتأخير (كأنه أراد ولقد همت به لولا أن رآى برهان ربه لهم بها) (٣)

وقال الامام الرازى في تفسيره :

(المراد أنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لأن الهم هو القصد فوجب ان يحمل في حق كل أحد على القصد الذى يليق به . واللائق بالرسول المبعوث الى الخلق القصد الى زجر العاصي عن معصيته والى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) (٤)

وقد نجاه الله تعالى من كل ما أحاط به بسبب اخلاصه وصدقه فاخلاصه عليه السلام لربه كان نابعا عن صدق حتى في أحلك الايام وأصعبها ، لأن تربيته عليه السلام بلغت الغاية في الخضوع الممزوج بحب الله تعالى الرحيم بعباده الذى لم يشرع لنا الا ما فيه خيرنا ولا يقدر لنا الا ما تقتضيه حكمته وارادته فكان لزاما على العبد مهما كانت منزلته ومهما كانت رتبته الا يلجأ ولا يعتصم الا بالله ، ولا يدعوا الا لعبادة الله

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ، ج٩ ، ص ١٦٥ ، بتصرف

(٢) تفسير الخازن ، ج٣ ، ص ١٢

(٣) تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ، ج٩ ، ص ١٦٦

(٤) التفسير الكبير للرازى ، ج٥ ، ص ١١٩

الذى لم يخلقنا عبثا ولم يتركنا هملا ، بل خلقنا لاداء مهمتنا في الأرض كي نتذوق حلاوة الايمان التي لها طعم لا يعرف لذته الا من عرف ربه ، وآثره على كل ماسواه ، وان كان بين أهله وعشيرته أو في سجنه وبين قضبانه كما قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام وهو يدعو الناس الى عبادة الله الواحد الأحد .

قال تعالى : " واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون " (١)

فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن الا بعبادة ربه وحبه والانابة اليه) (٢) وكلما تمكنت محبة الله من القلب وقويت فيه أخرجت منه تألهه لما سواه وعبوديته لغير الله) . (٣)

قال تعالى :" قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ". (٤)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٣٨) .

(٢) العبودية ، شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي ، ص١٠٨ الطبعه الخامسه ، ١٣٩٩هـ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ص ١٠٨

(٣) العبادة في الاسلام ، يوسف القرضاوى ، ص٩٩ الطبعه الثامنه ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ص٩٩

(٤) سورة الانعام آية (١٦٤)

ومن قصة يوسف عليه السلام نأخذ درسا في تربية الأبناء على حب الله وعبادته في اطار منهج اسلامي منظم على الآباء اتباعه وهو كما يلي :-

أ - الفتح على الولد بكلمة " لا اله الا الله " :-

الواقف على حقيقة " لا اله الا الله " هو الذى يدرك أنها اعظم وأثمن ما يملك وينطق . . والانسان المؤمن . . يعيشها حقيقة مطبقة . فهي في ذاتها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان تثقل بعلم المخلوق وعمله عندما يكون ممن أنعم الله تعالى عليه بنعمة الايمان وطهر قلبه من رجس الأوثان والأصنام وجعل عبادته خالصة للواحد الديان الذى تدين له جميع الخلائق بالعبادة، لذلك نرى الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يشير بالفتح على الأبناء أول ما يولدون بكلمة " لا اله الا الله ". (١)

" عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة "(٢)

والنبى صلى الله عليه وسلم يشير بهذا الافتتاح على الصغير لما لهذه الكلمة من وقع عظيم عندما تقرع سمعه فتمتلئ حواسه ومشاعره بعظمة الله وإجلاله واستقرار الفطرة التي فطر عليها

---

(١) تربية الأولاد في الاسلام عبدالله علوان، حـ١، ص١٥٦

(٢) سنن ابى داود ، الامام أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني الازدى ،حـ ٥ ص ٣٣٣، الطبعة الأولى ،دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، حمص، سوريه.

في قلبه وروحه فينشأ على الطاعة لله عز وجل . والمداومة عليها والاطمئنان بهما والسكينة فيهما ، وكذلك ينشأ على هدى ، ويعيش في الخير ، لأن كلمة " لا الهالا الله نور يهدى بها من يشاء من عبادة فلا يعرف بعدها سوى الله ربا والاسلام دينا والرسول عليه الصلاة والسلام نبيا .

ولاعجب في أن يتأثر الولد عند مولده بالفتح عليه " بلا اله الا الله " ، فذلك سره عند الله تعالى ، ومن نظر ورأى تأثير الصحبة في الصحابة وكيف أنهم إمتلأوا يقينا وإيمانا وصدقا بسبب رؤيتهم لنور النبوة والإيمان ولو لحظة من الزمان ، من نظر ورأى ذلك لا يستبعد ان يتأثر الولد بالفتح عليه والتأذين في أذنه بعد مولده .

وكل مايحتاجه هذا الفعل هو الصدق فيه ، والتوكل على الله معه ، فلله الأمر كله ، وهو على كل شيء قدير .

ب - أمره بالعبادة وهو في سن السابعة :

يعيش كل فرد بشرى في الحياة الدنيا بمجموعة من القيم والمفاهيم التى تحدد شخصيته وتبرز ذاتا لها ملامحها وخصائصها

ومن القيم ماهو صالح مفيد ، ومنها ماهو ضار .

وأحسنها وأصلحها في الحياة الدنيا ماكان نابعا من أساس شرعي مستمد من الكتاب والسنة .

ويبدأ الصغير في تلقي القيم منذ نشأته الأولى وهو نبت

قابل للتشكيل والتلوين ، وغالبا ما يكتسب من بيئته العديد من المفاهيم والعادات التى توجد بين أهله وأقاربه، ويشب بها وتكبرمعه .

ولذا وجب على الآباء ان يحتضنوا أولادهم منذ الصغر وينموا في اعماقهم القيم الأخلاقية الأصيلة المتكاملة الموصولة بالله تعالى وحب طاعته .

(ففي الأمر بالصلاة التى جعلها الله عز وجل بجميع أعضائه الروحية والعقلية والجسدية غذاء و نماء) . (١)

كماروى الامام الترمذى قال : حدثنا على بن حجر أخبرنا حرملة بن عبدالعزيز بن الربيع ابن سيرة الجهنى عن عمه عبدالملك ابن الربيع بن سيرة عن ابيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" علموا الصبى الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشرة" (٢)

قال أبو عيسى : حديث سيرة ابن معبد الجهنى حديث حسن صحيح .

وتوجيه الابناء منذ صغرهم على حب الله تعالى مبدأ اسلامي وعبرة مستفادة من قصة يوسف عليه السلام فحينما قص يوسف الرؤيا على أبيه أخذ يحببه في ربه قائل له :" وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث" (٣) فالله هو المتفضل وهو

---

(١) منهج القرآن في التربية ، محمد شديد الابراشى ، ص ١٩٢.

(٢) سنن الترمذى ، باب ماجاء متى يؤمر الصبى بالصلاة ، حـ١ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٣) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٦)

المجتبي وهو الذى يعلم عباده . ولا شك أن هذا توجيه حسن يعرف بمناط الخير. وأسباب النعمة ، الأمر الذى يجعل الصغير يتعلق بحب الله تعالى وبحب عبادته .

وفي موقف آخر يقول يعقوب عليه السلام لبنيه: " ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون " (١) فهو عليه السلام كان دائما يوجه ابناءه الى الثقة في الله فهو الرحمن الرحيم وهو على كل شئ قدير.

واذا ما أحب الابناء ربهم أطاعوه وعبدوه .

ان العبادات في جملتها تهذيب للروح وتصقل العقل ، وتنمي الجسد ولذلك كان تدريب الصبيان عليها تدريبا على كل شئ مفيد ، وانما جاء الامر بالصلاة ليقاس عليها سواها فعلى الآباء أن يعودوا أبناءهم على العبادة منذ الصغر ، ويعرفوهم بأحكامها وما يسهل من حكمها .

ففي الركوع والسجود والقيام والقعود تقوية للجسد ،
وفي التفكر والتدبر والفهم تنمية للعقل .
وفي الخشوع والدعاء والمناجاة تقوية للروح . (٢)

كما فيها غسل للروح مما علق بها من الهفوات والغفوات التى يندم عليها الانسان ، دون أن يحسب لعاقبتها حسابا فيقع في الخطيئة والشر .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام، آية (٨٧)
(٢) منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ، ص ١٩٢

قال تعالى : " اتل ماأوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون" (١)

وفي الصيام ترويض للنفس على الصبر عن الملاذ جميعا ، والإبتعاد عن الرذائل وسوء القول وسوء العمل .

وفي الزكاة التي تؤخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم وتعود هم على الاحساس بالحنان والرأفة وتوطيد العلاقات بين الفقراء والمساكين وبين الأغنياء المتنعمين .

وفي الحج تجرد لله تعالى ، ومساواة بين البشر حيث يقف الناس جميعا بين يدي الله سواسية كأسنان المشط ليس بينهم تفاضل الا بالتقوى التى يقي بها الانسان نفسه من عذاب الله وعقابه . (٢)

فتنشئة الأبناء على حب الله وعبادته هما الغاية التى تصل بهم الى الكمال الخلقى الذى يوصلهم الى أعلى مراتب السعادة والجزاء وهما الضمان لراحة القلوب والأبدان فتفيض بهم حلل الحسن والجمال المؤديين الى التسامح والعدل مع التحلى بالحكمة والصواب فيكونون بذلك من الذين يشار اليهم بالبنان لأنهم على الهدى .

إن التنشئة على حب الله وعبادته تجعل الابناء أصحاب الشخصية المسلمة ذات المثل العليا والقيم الفاضلة والسلوك القويم

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٤٥)

(٢) خلق المسلم ، محمد الغزالى ، ص ٦ - ٧ ، الطبعه الثامنه ، ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤م ، الناشر دار الكتب الحديثه ، ص ٦ ، ٧ .

المؤسس على خوف الله تعالى وتقواه ، وهى المهمة التى خلق الانسان لها .

فالتوجيه والتحذير النبوي الكريم من الوقوع في النار لتستقيم القلوب وتعي العقول وتعتدل النفوس فتسير في الحلال المطلوب وتتجنب الحرام البغيض .

إن أهم وظائف الآباء هى نصح أبنائهم والابتعاد بهم عن الوقوع في المحرمات لأن الصلة الحقيقية للآباء بأبنائهم هى صلة العطف والمودة والتوجيه الى مافيه الولاء والطاعة والإنابة لله عز وجل قال تعالى : " فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وأشكروا نعمت الله إن كنتم اياه تعبدون" . (١)

ولعل مما يساعد الآباء على تحقيق التأثير المطلوب هو إمتثالهم أولا لما ينصحون به ليكونوا قدوة عمليه أمام أبنائهم لأن تأثير العمل أقوى بكثير من القول المجرد .

ومما يؤدي إلى ضرورة الإلتزام بالحلال والعمل به أنه يكون في مصلحة وخير دائم يدفع الضرر والسوء .

والعبادة تحوى في مضمونها الغاية من خلق العباد ، فالله عز وجل خلق الخلق ليعرفوا ربهم الذى خلقهم مستخلفين في الأرض ليعبدوه ويوحدوه لأن العبادة لاينبغي أن تكون الا لله وحده لاشريك له كما قال تعالى :" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون" (٢)

---

(١) سورة النحل ، آية (١١٤)
(٢) سورة الذاريات ، الآيتان (٥٦ ٥٧)

فالله عز وجل لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه وحده دون سواه . لذلك كانت بعثة الرسل كافة برسالة واحدة تدعو إلى عبادة الله الحق .

ولكن عبادة الله وحده لا تقوم على أداء الصلوات الخمس، وأداء الزكاة المقررة ، والصوم والحج ، فحسب، بل إنها تشمل ما يتصف به الانسان المؤمن من (صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد ، والاحسان للجار ، واليتيم ، والمسكين وابن السبيل ، والمملوك ، والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة وحب الله ورسوله وخشية الله والإنابة اليه ، وإخلاص الإيمان له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . (١)

إنها تشمل كيان الإنسان كله .

فالمسلم يعبد الله بفكره
ويعبد الله بقلبه
ويعبد الله بلسانه وسمعه وبصره
ويعبد الله ببذل ماله ونفسه
ويعبد الله بعمله . (٢)

أما العبادة بالفكر فتكون بالتأمل آناء الليل وأطراف النهار في خالق الكون ومبدعه وفي ما يحويه هذا الكون من مخلوقات وعجائب تجعل المتدبر فيها حائرا باهتا عاجزا

---

(١) العبودية لابن تيمية ، ص ٣٨

(٢) العبادة في الاسلام ، يوسف قرضاوى ، ص ٢٧

عن الوقوف على سر خلقه الفسيح والغرض من الخلق الذى هو دليل وبرهان على أنه الحي القيوم الذى لا اله غيره يعبد ويطاع ويسبح باسمه بالغدو والآصال وجعل آياته التى ذكر فيها أخبار الأولين من الأمم الهالكة تهديدا ووعيدا لمن سار في طريقهم فقال تعالى : " وماأرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون، حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين . (١)

ثم وضح تعالى لهم أن ذكر قصص هلاك الأمم السابقة للعبرة والاتعاظ والتصديق فيما أخبر به فقال تعالى : " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (٢)

وأما العبادة بالقلب : فتكون بالخشوع والخضوع والتذلل والحب والرضى والشكر لنعمائه والحياء منه ، قال تعالى : " وإذ تأذن ربكم لإن شكرتم لأزيدنكم ولإن كفرتم إن عذابي لشديد" (٣)
والتوكل عليه والإخلاص له والصبر على بلائه ، (٤) فلا يفزع ولا يهن لما أصابه في نفسه أو ولده أو ماله لأن دار الدنيا دار إبتلاء واختبار

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، الآيات (١٠٩ - ١١٠)
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، الآية (١١١)
(٣) سورة ابراهيم ، آية (٧) .
(٤) العبادة في الاسلام ، ص ٧٦

يبتلي الله عز وجل فيها المؤمن ليعرف قدر إيمانه وحبه وإخلاصه له قال تعالى : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون/الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم" (١)

وأما عبادة الجوارح فهي :-

ما ينطق بالشهادتين وبقية أركان الاسلام ثم تلاوة القرآن وفهمه وتدبر معانيه والإمتثال لما فيه من الحكم والعبر والمواعظ قال تعالى : " أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا" (٢)

روى مسلم ، قال حدثني عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا سفيان بن عيينه عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن" (٣)

ومعناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون يحسن صوته به .
وقال الهروى : يتغنى به يجهر به .

قال الامام النووى : والصحيح أنه من تحسين الصوت(٤)

---

(١) سورة الانفال ، الآيات(٢ ، ٣ ، ٤)
(٢) سورة المزمل ، آية (٤)
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، حـ٦ ، ص ٧٨
(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ، حـ٦ ، ص ٧٨ - ٧٩ . بتصرف

كما أن المسلم يعبد الله بالتسبيح والتكبير في صلاته ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وإرشاد الضال وأداء المتعينة.(١) أى في إثبات الحق وإبطال الباطل بنصرة المظلوم والضرب على يد الظالم .

أما تعبده بسمعه فيكون بالإصغاء إلى تلاوة القرآن وتعليم العلماء والنصح والإرشاد إلى ما فيه خير صلاحه وتقويم إعوجاجه وتزويده بالعلم الذى لم يكن موجودا بين يديه في كتب العلم ، والإستماع إلى مجالس الذكر والتداول في كتاب الله تعالى كما روى مسلم بسنده عن الأغر أبى مسلم أنه قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهما شهدا على النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده " (٢)

<u>وأما العبادة بالمال والنفس :</u> فلقد حض الله تعالى في كثير من آياته الكريمة على الصدقة والإنفاق في وجوه البر عن طواعية وطيبة نفس من بعض ما أوتي المؤمن من المال والكسب الحلال لمساعدة الفقراء والمساكين ومواساتهم ومشاركتهم فاقاتهم وإزالة عثراتهم وإحساسهم باخوة العقيدة والإيمان وأنهم سواسية أمام الله لا فرق بين غنيهم ولا فقيرهم إلا بالتقوى .

---

(١) العبادة في الاسلام ، يوسف القرضاوى ، ص ٧٩

(٢) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر جـ ١٧ ، ص ٢٢ .

وأن يكون هذا الإنفاق خاليا من المن والأذى والرياء والسمعة والكسب الحرام لإن صفة المؤمن الحق الذى يريد وجه الله تعالى ينفق ماله ابتغاء مرضاته تعالى لأنه يعلم أن الله غني عن العالمين لا يحتاج الى أحد من خلقه فالكل ملك له وهو أغنى الأغنياء وأكرم الكرماء لا يضاهيه أحد في ملكه وكرمه يبسط الرزق لمن يشاء بيده الخير كله ، قال تعالى : " قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال" (١)

فاقامة الصلاة يكون بإتمام أركانها

والإنفاق هو اخراج الزكاة الواجبة

وقيل : أراد به جميع الإنفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه إخراج الزكاة والإنفاق . (٢)

وكذلك نجد المؤمنين الذين يعبدون الله تعالى قد وصفوا بصفات البذل والعطاء وهو من أشرف أنواع الاحسان والبر بقوله تعالى : " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا" (٣)

---

(١) سورة ابراهيم ، آية (٣١)
(٢) تفسير الخازن ، حـ٤ ، ص ٢٧
(٣) سورة الانسان ، الآيات (٨ ، ٩ ، ١٠) .

والمسلم يعبد الله ببذل ماله في سبيل الله يجاهد به أعداء الله ويناصر به أنصار الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فيدخل في عداد المتقين الأبرار الذين ذكرهم الله في القرآن ووصفهم بالصديقين والشهداء الذين صدقوا الله ما عاهدوا عليه بقوله تعالى في سورة الحجرات " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون" (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى قال :

" حدثنى أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : حدثنى عطاء بن يزيد الليثى أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه حدثه قال قيل يارسول الله أى الناس أفضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قالوا ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره" (٢)

قال ابن حجر : كأن المراد بالمؤمن من قام بما تعين عليه القيام به ثم حصلت هذه الفضيلة ، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينية ، وحينئذ يظهر فضل المجاهد لما فيه بذل بنفسه وماله لله تعالى ، وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة لأن الذى يخالط الناس لا يسلم من إرتكاب الآثام .(٣)

وأما <u>العبادة بالعمل</u> فإن الاسلام جعل كل عمل خير يقوم به الإنسان عبادة وقربى يتقرب به إلى الله عز وجل ، فاخلاصه

---

(١) سورة الحجرات ، آية (١٥)
(٢) صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير باب فضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله حـ ٣ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١
(٣) فتح البارى على شرح صحيح البخارى كتاب الجهاد ، حـ ٦ ، ص ٦ .

لعمله الذى يسند إليه ويقوم به على أكمل وجه ويبذل فيه جل جهده فينتج ويعطي عن نفس مطمئنة ونية صادقة عبادة لله وكسب محبة ورضى من حوله وثقتهم فيه .

قال تعالي : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" (١)

والنبى صلى الله عليه وسلم جعل الأعمال الدنيوية التى يقوم بها الانسان لمعيشته ، والسعى على نفسه وأهله من أبواب العبادة والقربات الى الله وإن لم يتعد نفعها دائرته الشخصية والأسرية . (٢)

أما ان تعدى نفعها دائرته الشخصية والأسرية فتكون قرباته مضاعفة أضعافا كثيرة .

فقيام الإنسان بإصلاح ذات البين عبادة (٣) لقوله تعالى : " إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " (٤)

وعيادة المريض والدعاء له بالشفاء ومواساته وتخفيف آلامه عبادة وقربى لقوله صلى اللهعليه وسلم فيما روى مسلم قال :

---

(١) سورة التوبة ، آية (١٠٥)
(٢) العبادة في الاسلام ، يوسف القرضاوى ، ص ٦١
(٣) العبادة في الاسلام (، يوسف القرضاوى ، ص ٥٧
(٤) سورة الحجرات ، آية (١٠)

" حدثنا يحيى بن يحى التميمى أخبرنا هشيم عن خالد عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع"

واماطة الأذى عن طريق المسلمين لتسهيل سبل السير والابتعاد بهم عن التعسر أثناء سيرهم عبادة وقربى .

قال الامام مسلم حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبيدالله حدثنا شيبان عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس" (١)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب فضل عيادة المريض، حـ ١٦، ١٢٥ .

المبحث الخامس

الاهتمام بالعلم

المبحث الخامس

الاهتمام بالعلم

جاء الدين الاسلامي ليدعو الناس الى العلم والاغتراف من مناهله الصحيحة التى تعتبر عنصرا أساسيا للحياة .

وللعلم أهميته الكبرى في جميع الأديان السماوية ، فهو النور والهدى اللذان جاء بهما الانبياء والرسل عليهم السلام والذين ضرب الله تعالى بهم أعظم المثل في العلم والمعرفة حيث استطاعوا أن يخرجوا كثيرا من الأمم السابقة من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والمعرفة بحكمتهم وعلمهم ، وفى قصة يوسف عليه السلام دلالة كبرى على أهمية العلم وضرورته ، فقد اعتنى يعقوب عليه السلام بيوسف وأخذ في اعداده وتربيته للحياة والمستقبل اللذين كانا ينتظرانه ، فنمى عقله وغذى فكره بالعلوم التى اختصه الله تعالى بها حتى وصل الى أعلى مراتب العز والجاه والسلطان .

وفي هذه السورة من قصة يوسف عليه السلام يرد ذكر العلم كثيرا .

١- ففى الآيه الاولى التى ورد فيها ذكرالعلم نرى كيف بدأ يعقوب عليه السلام يهيء يوسف لتلقي العلم من الحق عز وجل فقال عز من قائل : " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب

كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم ". (١) وهذه إشارة حسنة من الرسول الوالد عليه السلام يريد بها أن يهيء نفس ولده لتقبل فضل الله تعالى .

٢ - كما نرى الآيات تتحدث عن أنواع العلوم التى اختص بها يوسف عليه السلام وذلك في الآيات التاليه بقوله تعالى :

أ - "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ". (٢)

في الآيه ثناء من الله تعالى على يوسف عليه السلام وتصديق فيما عدده من النعم التى آتاه الله تعالى من التمكين فى الآخره وتعليم تاويل الاحاديث (٣)

ب - وقال تعالى : " ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ". (٤)

جـ - وقال تعالى : " قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ". (٥)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (٦)
(٢) سورة يوسف عليه السلام الايتان (٢١ ، ٢٢ وآيه (٣٧)
(٣) تفسير القرطبى جـ ٩ ص ١٢٩ .
(٤) سورة يوسف عليه السلام
(٥) نفس الصفحه آية (٣٧)

د - وقال تعالى : " قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم " .

هـ - وقال تعالى : " رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولى في الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين " . (١)

وهذه الآيات تبين العلوم التى أعطاها الله تعالى ليوسف عليه السلام فقد مكن له عند عزيز مصر حتى تمكن من الامر والنهى وتمكن من العلم ليؤول ويفسر الوحى ، ويؤول الرؤيا إذ أنه عليه السلام لما بلغ أشده آتاه الله الحكم في سلطان الملك مع العلم الصحيح بأمور الحكم والدين وذلك لما دخل عليه السلام السجن ورأى رفيقاه رؤيا أزعجتهما فسألاه التاويل فبين لهم ان الله تعالى خصه بالعلم لانه ترك قوما لا يؤمنون بالله ودعاهما الى الايمان وفسر لهما ما رايا ، ولما راى الملك رؤياه لم يجد من يخبره بتاويلها إلا يوسف عليه السلام ولما خرج عليه السلام من السجن طلب من الملك أن يجعله على الخزائن لعلمه بإدارة المال ومحافظته عليه ، فقد سألها عليه السلام بالحفظ والعلم لا بالحسب والجمال .

وقد شعر يوسف عليه السلام بتكامل النعم عليه حينما جمع له الملك والعلم والأهل .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آية (٥٥)
(٢) سورة يوسف عليه السلام الآتيان ٥٥ ، ١٠١ .

لقد علم يوسف عليه السلام العلوم التاليــــه :

أ - علم الوحي و النبوة والدين .
ب - علم تأويل الرؤى .
جـ - علم أمور الحكم والمال .
د - علم سياسة الناس وحسن التعامل معهم .

وهذه هي أهم علومه كما تستفاد من الآيات وهي علوم نافعة ليوسف عليه السلام ولدينه ولأهله وللناس أجمعين .

٢ - فضل العلم ونتائجه على يوسف عليه السلام :

لقد مكن العلم ليوسف عليه السلا م
فجعله يلوز ويلتجيء ويعتصم بالله عزوجل في نهاية مطاف المحـــن والشدائد التى مر بها طيلة حياته لأنه تعالى صاحب الفضل والمـــن والعطاء ، ومكن له فجعله يسود وهو سجين ، ويحكم في المـــا ل بعد ان خرج من سجنه ، ومكن له جمع والديه وإخوته وأهله فعززوه وكرموه وذلك كله من آثار العلم الذى أعطاه الله ليوسف عليه السـلا م

أ - قال تعالى : " لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قـــو م لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافـــرون " . (١)

---

(١) سورة يوسف آية (٣٧) .

ب - وقال تعالى : " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين " . (١)

ومن خلال وقوفنا على هذه الآيات نأخذ العبر التالية :

أ - <u>واجب تعلم الأبناء :</u>

التعليم هو عماد الحياة التي يحياها الانسان ولا يمكن للولد ان يتعلم الا اذا تعهده أبواه بالتربية التي تعتبر أساس بناء شخصية الانسان وتكوينه كي يستطيع ان يتلقى العلوم والثقافة والمعرفة التي يسير بها الى حياة أفضل تعود عليه بالخير والنماء في دينه ودنياه ويقيم مجتمعه المسلم القوى بالعزة والكرامة والتمكين ، إن الغاية الكبرى من التربية والتعليم هي القيام على نصرة التوحيد وتطبيق منهج الاسلام وما جاء به من أحكام وتشريعات وقوانين وأنظمة ، (فالتربية والتعليم ليسا غاية ولكنهما وسيلة لغاية .

فوسيلة التربية لبناء الانسان القادر على حمل رسالة الأمة وعقيدتها .

وغاية التعليم حماية الأمانة وتنميتها وإذاعتها ودعم العقيدة وتطبيق الشريعة وإقامة الحجة بالمنطق والدليل على صدقها

---

(١) سورة يوسف عليه السلام الآيه (١٠١) .

وصحتها (١) فالرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى للمسلمين وهو الغاية القصوى التى يجب أن تنتهي إليها كل غايات التربية والتعليم ، والقرآن الكريم هو نقطة الإنطلاق لبناء النفس الإنسانية في الفرد وبناء الأسرة ثم بناء الجماعة الاسلامية فيبدأ بتعليمهم أشرف وأنبل علم ليكون نبراسا يضيء لهم الطريق السليم والذى أضاء لأنبيائهم ورسلهم من قبل ذلك حين نزلت اوائل الآيات من سورة العلق على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في غار حراء قال تعالى : " إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ". (٢)

هذه الآيات أول ما نزل من القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمره أن يقرأ باسم الله الاعلى الذى علم بالقلم وهي الاداة التى كانت وما زالت هي الوسيلة الوحيدة التى يستعملها الإنسان فى تدوين العلوم والمعرفة لحفظها من الضياع والإندثار.

إن مصدر التعليم هو الله منه يستمد الإنسان كل علم وكل ما يعلم وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة ومن أسرار نفسه ، و الإنسان يتعلم ويعلم ما يعلم ، فمصدر هذا كله هو الله الذى خلق والذى علم علم الانسان ما لم يعلم " (٣)

---

(١) الموسوعة الاسلاميه العربيه التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام أنور الجندى الموسوعه (١٦) ص ١٨٥ ، ١٨٦ .
(٢) سورة العلق الآيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) .
(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب حـ٦ ، ص ٣٩٣٩

وقد جاء فيما أخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح قال الامام البخارى : حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا حماد بن أسامه عن بريد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبي موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ، ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به)[1]

وما دام التعليم بهذه الاهمية وله هذا الواجب فعلى الآباء أن يهتموا بتعليم أبنائهم ولا يهملوا هذا الجانب لما له من فائدة في توسيع مداركهم وتعليمهم شئون دينهم حتى يشبوا وهم يعرفون الله حقا ، ويعبدونه صدقا ، ويعيشون في هذه الحياة بمنهج الله تعالى ٠

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب العلم باب فضل من علم وعلم جـ ١ ص ٢٨

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة " .(١)

ب - ضرورة شمول العلم :

إن إرتكاز العلوم و المعارف وتعميقها يعتمد على مدى إدراك الأبناء وقدراتهم واستعدادهم وميولهم الفطرى للعلم والعمل بموجب الدين وأنه الغاية التي يسعى كل أب بابنائه لادراكها والإلمام بكل ما جاء من العلوم الدينية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والكونية ، والعلوم الطبيعية ، والرياضيات ، والتكنولوجيا والعلوم التجريبية ، كالطب ، والكيمياء ، والبحث العلمي ، ثم متابعة المسلم بروح الاسلام ليكون العلم إصلاحيا لاعدوانيا وليصبح الفرد المسلم واعيا مدركا لمتطلباته ومتطلبات مجتمعه يؤدى دوره في بناء أمته وحضارته العريقة ليتم على أساسه خير الانسانية والتطلع إلى الحكمة من تمكينه في الأرض وجعله مستخلفا فيها فكان خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيكون خير خلف لخير سلف .

لذلك حرص الاسلام على دفع الآباء بأبنائهم قدما الى الامام بانشاء جيل عالم متفقه متطلع الى أدب الأدباء ، وعلم العلماء ، ومنهج الخطباء الذين كانوا يرحلون من بلد الى بلد ومن قطر الى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر جـ ١٧ ، ص ٢١ .

قطر لطلب العلم والحديث والتفقة فيه ، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده في تمييز الإصطلاحات بما يراه من إختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من الشيخة عند تعدد هم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية .(١)

إن كثيرا من طلاب العلم المسلمين كانوا يشدون الرحال الى مختلف أنحاء العالم لطلب العلم والبحث عن العلوم الدينية واللغة العربية او الادب دون أن يحسبوا للسفر ومشاقه حسابا ، فكانوا يذللون الصعاب في سبيل البحث عن الحديث الشريف ، لقد قام الامام البخاري رضي الله عنه بجمع أكبر قدر ممكن من الأحاديث الصحيحة وقد روى عنه أنه قال : خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث لست عشرة سنة وما وضعت فيه حديثا الا اغتسلت وصليت ركعتين . (٢)

والامام مسلم رضى الله عنه أحد أعلام أئمة هذا الشان وكبار المبرزين فيه وأهل الحفظ والإتقان والرحالين في طلب العلم إلى أئمة الأقطار والبلدان والرجوع إلى كتابه والمعتمد عليه في

---

(١) مقدمه ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الفصل الثالث والثلاثون في أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم ص ٥٤١ ، الطبعه الرابعه ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ، دار الباز للنشر والتوزيع .

(٢) صحيح البخارى حـ ١ ص ١ .

كل الأزمـــــان . (١)

فهذا العلم الذى يوجه إليه الأبناء لابد أن يكون شامـــلا لكل ما يهمهم ويصلح شأنهم وينفعهم في مستقبلهم ، ويجب على الاباء ان يستفيدوا بكافة الوسائل والطرق في التعليم ، إن الرحلة والتنقـل ومشاهدة الطبيعة والخلاء كان لها أثر في تعليم يوسف عليه السـلام وهو درس يجب أن يكون عبرة وعظة للابناء على مر الزمان وعلى الآبـاء أن يدرسوا إمكانية أبنائهم ليعدوا لهم العلوم على قدر طاقتهـم وبالوسائل التى تناسبهم .

٣ - **الاهتمام بالعلوم النافعة :**

أنزل الله تعالى القرآن الكريم وجعـل تعليمه فريضة على كل مسلم ومسلمة ليكونوا هداة يستهدون بنـوره المبين فلا يستطيع الأبناء الوصول الى تعلم القرآن الا اذا انكب الآباء على تعليمهم منذ الصغر العلوم النافعة لأن العلم هو الحياة الأبدية التى ينتفع بها أهل العلم والمعرفة من أئمة المسلمين دون غيرهم من عامة الناس .

(فهم أطيب الناس عنصرا واكرمهم جوهـرا) (١)

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ، التعريف بالامام مسلم حـ ١ ص(ج)
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ،التعريف بالامام مسلم حـ ١ ص ٤٠ .

لذلك أجمع العلماء على وجوب التدرج في تعليم الأبناء بما يلائم سنهم وعقلهم وتفكيرهم من الكتب السهلة في فهمها السلسة في أسلوبها واستيعابها والواضحة في معانيها فيبدأ منذ الصغر بحفظ القرآن الكريم وفهم معانيه وإدراك مغزاه ، وترتيله في أسلوب أدبي جميل، فهو كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم والذى كان شديد الحرص على حفظه واستظهاره حتى لا يفلت شيء منه عند تحفظه وتلقيه من الوحي عليه السلام ، حتى طمأنه الله عز وجل ووعده بجمعه في صدره فقال عز من قائل: فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي اليك وحيه وقل رب زدني علما . (١)

وقال تعالى : وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ، ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما . (٢)

فتعالى الملك الحق الذى تعنوا له الوجوه ، ويخيب في حضرته الظالمون ، ويأمن في ظله المؤمنون الصالحون ، هو منزل هذا القران من عليائه فلا يعجل به لسانك فقد نزل القرآن لحكمة ولن يضيعه ، إنما عليك ان تدعو ربك ليزيدك من العلم وانت مطمئن الى ما يعطيك لا تخشى عليه الذهاب ، وما العلم الا ما يعلمه الله فهو الباقي الذى ينفع ولا يضيع ويثمر ولا يخيب . (٣)

---

(١) سورة طه آيه (١١٤) .

(٢) سورة طه آيه (١١٢) .

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب حـ ٤ ص ٢٣٥٣ .

وقول يوسف عليه السلام عند إعترافه بفضل الله عليه بعد جمع الشمل بأهله وأبويه فقال تعالى : رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ".(١)

وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم فقد كان كتاب الله في المحل الأول من عنايتهم يتسابقون في استظهاره وحفظه ويتناقشون في مدارسته وتفهمه ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه وربما كان قرة عين السيدة منهم أن يكون مهرها في زواجها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها ، وكانوا يهجرون لذة النوم ، وراحة الأبدان إيثارا للذته والقيام به في الليل ، وتلاوته في الأسحار والصلاة والناس نيام ، حتى لقد كان الذى يمر ببيوت الصحابة في غسق الدجى يسمع فيها دويا كدوى النحل بالقرآن .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يزكى فيهم روح هذه العناية بالتنزيل يبلغهم ما انزل اليه من ربه ، ويبعث الى من كان بعيد الدار منهم من يعلمهم ويقرئهم ، كما بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم الى أهل المدينة قبل الهجرة ، يعلمانهم الاسلام ويقرئانهم القرآن ، وكما أرسل معاذ بن جبل الى مكة بعد هجرته للتحفيظ والاقراء ، وكان يسمع لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم خلجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (١٠١) .

أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطون . (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى الامام مسلم عنه في تعليم القرآن وتفضيله على سائر العلوم .

قال حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عبيد الغبري جميعا عن أبي عوانة قال ابن عبيد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران . (٢)

قال القاضي يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الأرض منازل يكون فيها رفيقا للملائكة السفرة لإتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى .

وقال ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم وأما الذى يتتعتع فيه فهو الذى يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة واجر بتعتعته . (٣)

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني ، جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدر حـ ١ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ . دار احياء التراث الادبي - بيروت - لبنان .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، فضائل القرآن والامر بتعهده باب فضيلة حافظ القرآن حـ ٦ ص ٨٤ .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم حـ ٦ ص ٨٤ - ٨٥ .

وكذلك تعليمه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها ومعرفة الصحيح منها والحسن، والضعيف ، والموضوع .

وتعليمه الأحكام الفقهية ثم بعد ذلك يأخذ في تعلم اللغة العربية والشعر ، ثم التاريخ والرياضيات والسباحة والرماية والرياضة البدنية . (١)

ثم تعليمه بقية العلوم الكونية والطبيعية الاخرى كل حسب ميوله ورغباته دون اكراه على الاتجاه الى علم معين لا يميل اليه الولد بعد اجتيازه مرحلة العلوم الأساسية حتى لا يؤدى ذلك الى الضرر وفشله في الحياة .

ومن هنا حرص المسلمون في كل مكان على تعليم أبنائهم العلوم الأساسية أولا ، ومما يدل على حرصهم وعنايتهم بأبنائهم هذه الطائفة من الأقوال المأثورة عنهم :

١- أوصى عتبة بن ابى سفيان عبد الصمد مؤدب ولده بأن يعلمه كتاب الله ويرويه من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه .

٢ - وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الولاة ما يلى :

أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار

---

(١) التربية الاسلاميه ، وفلاسفتها ، محمد عطيه الابراشي ص ١٦٢ . الطبعه الثالثه ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م دار احياء الكتب العربية .

من المثل وحسن من الشعــــره (١)

وعلى الآباء أن يضعوا في أذهانهم هذه التوجيهات الاسلاميه فيعلموا أولادهم وينشئوهم على المعرفة ويمدونهم بالثقافات المفيدة فذلك خير لهم وأفضل .

---

(١) تربية الاولاد في الاسلام عبد الله علوان حـ ١ ص ٢٧٠ .

الفصل الثالث

العبر المستفادة في مجال الأسرة

المبحث الأول

العدل بين الأبناء

المبحث الأول

العدل بين الأبناء

كان يعقوب عليه السلام عادلا بين أبنائه وأسرته رفيقا بهم وكان القدوة في تربيته ورعايته والحرص على مداومة الوفاق والوئام بينهم والحيلولة دون تمكن الغيرة والحسد من قلوبهم وكان دائم النصح والتوجيه ليوسف حرصا وتحرزا من تألب إخوته عليه للمكانة والعناية التى حباه الله بها ونلمس هذا النصح والتوجيه في قوله تعالى : " قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين " (١)

فنهى يعقوب عليه السلام يوسف من قص رؤياه على إخوته تألما وحزنا على كراهية إخوته له وقد كان عليه السلام متجردا من كل ظلم أو جور نحوهم ومنزلا كل واحد منهم منزلته في قلبه دون محاباة أحد على أحد لأن الحب ليوسف عليه السلام أمر خارج عن ارادته " فليس هناك شيء يسوء الآباء وفي مقدمتهم نبى الله الذى لا نكاد نعرف أبا نظيرا له في حب أبنائه كما يسوءه عدم الوفاق بين الابناء وقد كان حريصا الحرص كله في إعادة الوئام بينهم . ويعقوب يمثل لنا الرجل الذى يوافق قوله ما في قلبه تمام الموافقة " (٢)

---

(١) سورة يوسف ، آية رقم (٥)
(٢) الوحدة الموضوعية ، الدكتور حسن باجودة ، ص ٥٢٣

وكما كان حرصه عليه السلام على يوسف، كان حرصه على جميع إخوته ويتضح ذلك من قوله تعالى: " وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون . ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ماكان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (١)

فهذه الآية الكريمة تتضمن أطيب الاثر في العدل والمساواة والخوف الشديد ليعقوب عليه السلام على أبنائه ، وقد ذكر العلماء أقوالا تدل على حرصه وخوفه في قوله تعالى : " الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي :

١- خوفه عليهم من إصابة العين
٢- خوفه عليهم من حسد أهل مصر
٣- خوفه عليهم من أن يقصدهم ملك مصر بشر
٤- خوفه عليهم من أن لا يرجعوا . (٢)

وبهذا يتضح لنا أنه يخاف عليهم من أى ناحية يتصور فيها ضررهم وهذا الاتجاه في الحرص على الأبناء وتربيتهم على العدل والمساواة عبرة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم التى يجب أن يسود فيها هذا الخلق الكريم، وأهم العبر في هذا : هو وجوب المودة والتراحم والتعاطف بين أفراد الأسرة والإخوة .

---

(١) سورة يوسف آيه رقم (٦٧، ٦٨)
(٢) التفسير الكبير ، تفسير فخر الدين الرازى ، حـ ٥، ص ١٤٨

وتوضح لنا قصة يوسف عليه السلام بأن العدل والمساواة حقيقتين متلازمتين لدى الآباء نحو أبنائهم لما لها من عظيم الأثر في بث روح التواد والترابط والتعاطف في أفراد الأسرة والمداومة على صلة الرحم والأقارب واستئصال آفات الحسد من نفوسهم فينشأوا على الحب والتعاون والإيثار ويتحرروا من العداوة والبغضاء والاثرة والأنانية (١) لقوله تعالى: "ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون " (٢)

أخرج البيهقى في الشعب عن الحسن أنه قرأ هذه الآية "إن الله يأمر بالعدل والاحسان" فقال: إن الله عز وجل جمع لكم الخير والشر كله في آية واحدة فوالله ما ترك العدل والاحسان من طاعة الله شيئا الا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه ". (٣)

فهذا التوجيه من أبرز معالم التربية الأدبية والخلقية التى تكسب الآباء إمتيازات في توادهم وتعاطفهم بعيدين عن الظواهر الاجتماعية الفاسدة التى تؤدي إلى التفكك والتمزق الأسرى والبعد عن العدل والرحمة بين الأبناء .

---

(١) تربية الاولاد في الاسلام عبدالله علوان ، حـ١ ، ص ٣٤٨

(٢) سورة النحل ، آية ٩٠

(٣) فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن على بن محمد الشوكاني ، حـ٣ ص ١٨٩ الطبعه الثالثه ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

(فعلى الوالد أن يكون حكيما في تربية أولاده وذلك باتباع أنجح الوسائل في إزالة ظاهرة الحسد من نفوسهم امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته) (١) فيما روى الامام البخارى عنه قال : حدثنا حامد بن عمر حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عامر قال : سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنهما وهو على المنبر يقول : " أعطانى أبى عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يارسول الله قال : اعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم ، قال ، فرجع فرد عطيته" (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى الامام مسلم قال حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب عن حميد ابن عبدالرحمن وعن محمد بن النعمان بن بشير يحدثانه وفي رواية عن النعمان بن بشير أنه قال أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى نحلت ابنى هذا غلاما كان لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعه " (٣)

---

(١) تربية الاولاد في الاسلام عبدالله علوان ، حـ١ ، ص٣٤٩

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها حـ٣ ، ص ١٣٤

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، باب كراهية تفضيل بعض الاولاد في الهبة حـ ١١ ، ص ٦٥
نحلت : بمعنى وهبت (المختار)

فهذا الحديث يدعو الى المساواة بين الأبناء في الهبات والعطاء بدون محاباة أحد الإخوة على الآخر سواء أكان ذكراً أو أنثى .

فمن المعروف بداهة أن المربين حين يساوون بين الأولاد في المعاملة ويحققون العدل بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد في نفوسهم وتزول آفات الضغائن والأحقاد من قلوبهم بل يعيش الأبناء مع إخوتهم ومربيهم في تفاهم تام ومحبة متبادلة بل ترفرف على البيت أجنحة المودة والإخلاص والصفاء . (١)

---

(١) تربية الاولاد في الاسلام ، عبدالله علوان ، جـ١ ، ص٣٤٨

المبحث الثاني

بث روح التعاون بين الإخوة

المبحث الثاني

بث روح التعاون بين الاخوة

عاش يعقوب عليه السلام مع أبنائه الاثنى عشرة يغرس فيهم روح المحبة والوفاء ويحثهم على التعاون والبذل والعطاء فيما بينهم ، ويحاول ربط كل واحد منهم بالله عز وجل ليكون مسئولا عن نفسه أمام خالقه وبارئه فيزكيها ويطهرها من كل ظلم أو عدوان ، وكان عليه السلام يحرص على مراقبتهم وهدايتهم إلى الخير إن حادوا أو ضلوا بإيقاظ ضمائرهم وأحاسيسهم لمراقبة الله تعالى في كل أمر يقدمون على تنفيذه ليكون التضامن والتعاون فيما بينهم هو الصورة المجبولة عليها نفوسهم والمطبوعة على شفاههم لأنهم أبناء النبى الكريم الذى بعث ليدعوا قومه الى الدين الحنيف .

نجد يعقوب عليه السلام في صبره وثباته على محنته في بنيها لصورة لمعبرة والمجسدة ، لأنبياء الله في علاجهم للنفوس المريضة بالدعوة إلى الصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالقسوة والشدة والتوبيخ أو التقريع الذي يؤديان الى النفور ، ونلمس هذا كله في أسلوبه وطريقته بإشعارهم بعظم قداسة الترابط والتعاون الأخوى والأسرى وإشعارهم بعظم ذنب ما فرطوا فيه من التربية الأخلاقية الكريمة التى فطروا عليها في بيت النبوة بقوله :

قال تعالى : " يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون "(١)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه (٨٧) .

ففي هذه الكلمات كان علاج يعقوب عليه السلام لأبنائه فكان يوجههم للتعاون في البحث عن يوسف وأخيه بنيامين وان يتحسسوا خيرا من اخبارهم[(١)] ويغرس فيهم التآخي والترابط والألفه والمحبة والحرص للمحافظة على بعضهم البعض والتوكل على الله دون يأس أو قنوط من رحمة الله وفرجه في العثور عليهما لانه لا ييأس من رحمة الله وفرج الله الا القوم الكافرون (إن المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك) (٢) وأن يكون أملهم في الله كبير وأنه تعالى لن يخذلهم لانهم يتعاونون على الحق والخير في العثور على يوسف وبنيامين وإرجاعهما إلى أبيهم . ومن ذلك يمكن أخذ العبرة في بث روح التعاون بين الإخوة .

---

(١) تفسير الخازن حـ ٣ ص ٣٩ بتصرف .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٩ .

إن غاية كل أب أن يربى أبناءه على السلوك الخلقي القويم ليجعل منهم أبناء صالحين مترابطين ومتعاونين فيما بينهم لأن السلوك الخلقى القائم على التعاون يؤثر في الطفل ويجعله مرتبطا بأسرته حيث يبدأ العلاقة الوطيدة التى تنشأ بينه وبين أبويه وتستمر هذه العلاقة مهيمنة على حياته طوال فترة طفولته ثم تخف شيئا فشيئا عندما يصل سن الرشد والنضج نتيجة لادراكه وتعقله للمحيط والمجتمع الذى يعايشه ويعاصره ، ونتيجة لاعتماده على نفسه وثقته وإعجابه بها يبدأ في ابراز شخصيته بالإلتفاف والتكتل حول الجماعة التى ينتمى اليها فيتعامل معها بحسب تربية روحه وضميره وسلوكه الاجتماعى الذى يقوم الأبوان بغرسه في وجدانه منذ الصغر فيتسم بالفضيلة والصدق والإحسان والبر لقوله تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب " (١)

(وتعاونوا على البر والتقوى) أى : على العفو والاغضاء ، (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) أى : على الانتقام والتشفى ، (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) لمن عصاه وما اتقاه .(٢)

فمن هذا المنطلق الحكيم نستشف معنى التعاون الذى عمد الاسلام إلى تكوينه في ضمائر الأبناء وضمائر الأسرة عن طريق الآداب القرآنية والإجتماعية لأن الاسرة هى اللبنة الأولى في بناء المجتمع فاذا كان بناؤها قائما على أساس التعاون

---

(١) سورة المائدة آية ، (٢)
(٢) تفسير النسفي ، حـ١ ، ص٢٦٨ - ٢٦٩ .

والتضامن الإنساني السليم ضمن للمجتمع صرحا قويا وطيدا بعيدا عن الخلل والزلل لأن أفراده يعيشون في محيط أسري كامل خاضع لعقيدة دينية عميقة الجذور تدعو إلى التعاون في جميع المجالات المطلوبة .

قال الامام مسلم حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير حدثنا أبي حدثنا زكرياء عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . (١)

فهذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم " والتعاضد في غير إثم ولا معصية وتداعى له سائر الجسد أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في ذلك ومنه قوله : تداعت الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط . (٢)

فالدين الاسلامي دين يدعوا الى الألفة والمحبة والتآخي والإيثار والتضحية بكل ماهو غال ونفيس في سبيل إسعاد الآخرين كي يتم التعاون في صورته الجميلة التى رسمها لنا القرآن الكريم حينما آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين الأنصار والمهاجرين فآووهم وشاركوهم مالهم وديارهم وأزواجهم في رحابة صدر وسماحة نفس وهى صورة للإنسانية العليا في أجمل صورها وأبدعها . (٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ج ١٦ ، ص ١٣٩-١٤٠
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم، ص ١٣٩-١٤٠
(٣) دراسات اسلامية ، سيد قطب، ص ٥٤ طبعة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، دار الشروق ، بيروت.

قال تعالى : " والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " (١)

المراد بالدار المدينة وهي دار الهجرة ، ومعنى تبوءوا الدار والإيمان أنهم اتخذوها بناء أى تمكنوا منها تمكنا شديدا (من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين (ولا يجدون في صدورهم حاجة) أى لا يجد الأنصار في صدورهم حسدا وغيظا (مما أوتوا) أى مما أوتى المهاجرين دونهم من الفيء بل طابت أنفسهم بذلك (يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الإيثار تخصيص الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الآخرة (ولو كان بهم خصاصة) أى حاجة (ومن يوق شح نفسه) الشح البخل ، قيل الشح أشد من البخل ، قال مقاتل شح نفسه حرص نفسه قال سعيد بن جبير ، شح النفس، هو أخذ الحرام ومنع الزكاة (فأولئك هم المفلحون) الفلاح الفوز والظفر بكل مطلوب . (٢) .

والتعاون دعامة قوية من دعامات حياتنا والناضج يعلم كيف يعمل مع الآخرين ويسعى أيضا لرفاهيتهم في المنزل والمدرسة والعمل والمجتمع . والناضج يدرك أن أغلب مواقف الحياة تصطبغ بالتعاون كما تصطبغ بالتنافس وهو يعلم أن الرغبة في الانتصار والتقدم قد تصبح دافعا حيويا يحفزنا على بذل

---

(١) سورة الحشر ، آية (٩)

(٢) فتح القدير للشوكانى ، جـ٥ ، ص ٢٠٠-٢٠١

غاية الجهد والطاقة ولكنه يدرك أن هذه الرغبة قد تتجاوز حدودها وتندفع في شدة تؤذي معها الآخرين. (١)

وهذا ما حصل لاخوة يوسف عليه السلام عندما تعاونوا فيما بينهم على إيذاء أخيهم وإيقاع الشر به بدلا من أن يتعاونوا على بث روح التعاون والألفة والمحبة لمناصرته ومؤازرته والوقوف بجانبه في سبيل الدعوة إلى الله تعالى ولذلك أخذ يعقوب في توجيههم بعد أن فعلوا ذلك الى التعاون والمحبة فعلى الآباء أن يعتبروا ويتعظوا من هذا القصص القرآني العظيم وأن يربوا أبناءهم منذ النشأة على الإخلاص لدينهم وعقيدتهم وعلى الصلة الدائمة بربهم بمعرفة حقوقه وواجباته عليهم نحو إخوانهم وأشقائهم في تعاون وسخاء سواء كان هذا البذل والعطاء معنويا ذاتيا أو ماديا إقتصاديا بعيدين عن الشح والجزع أسوة بالسلف الصالح من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة - الدكتور فؤاد البهى السيد ، ص ٢٣٥ ، الطبعة الرابعة المعدلة ١٩٧٥م ، ص ٢٣٥ .

الفصل الرابع

العبر المستفادة في مجال تنظيم الجماعة

المبحث الأول

المحافظة على حقوق الغير

المبحث الأول

المحافظة على حقوق الغير

عاش يوسف عليه السلام عزيزا مكرما في بيت سيده الذى أكرمه وأحسن مثواه حتى نضج وأصبح شابا فتيا فأخذ عزيز مصر يثق فيه ويأتمنه على خزائنه وعلى جميع شئون أهله لرجاحة عقله وكمال خلقه وصفاء قلبه فكان عليه السلام غيورا على حرمات القصر في حضرة سيده وغيابه يحافظ عليه ويدفع كل شر عنه وفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه في المحافظة على حرمات دينه وعقيدته التى إجتباه الله تعالى واختاره من بين إخوته الأحد عشر ليكون نبيا مرسلا يقتدى به ويتبع أمره منزها من الوقوع في الخطأ والرزائل ووفاء لربه الذى آواه وأنزله منزلة ولده ، ويظهر ذلك واضحا عند مراودة امرأة سيده عن نفسه فى قوله تعالى :

" وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون " . (١)

ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى طهارته وعفته واعتصامه عليه السلام حيث وقف هذا الموقف خائفا من ربه مطيعا له مستعيذا به وفى قوله : " إنه ربى " خلق كريم يدل على محافظته على حقوق الغير " وربى " إما أن يقصد به الله الذى خلقه وأكرمه

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه ٢٣ .

وأمده بهذه النعم وإما يقصد بالرب عزيز مصر الذى رباه واحتضنه وأكرم مثواه ، ففي قوله :

" إنه ربي أحسن مثواى " إشارة الى ضرورة رد الجميل والمحافظة على حقوق الغير وخاصة ذلك الذى قام بواجبه فكان لزاما عليه أن يحافظ على كافة حقوقه فى حضرته وغيبته وحقوقه في المحافظة على أعراضه معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى " إنه لا يفلح الظالمون " ورغم كل ما عرضته النسوة عليه من الإغراءات آثر عليه السلام السجن للمحافظة على مبادئه وقيمه وصيانة لحق سيده ، وعندما دخل السجن أنشأ فيه لونا من ألوان التعاون الاجتماعى إذ دخل معه السجن فتيان فأخذ يتقرب اليهما ويسألهما عن سبب دخولهما السجن فقصا عليه رؤياهما حيث قال أحدهما : إنى أرانى أعصر خمرا " وقال الثاني : "إني أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه". (١)

فهنا تجلت روحه الاجتماعية فلم يتوارى عنهما ولم يعتزل بعيدا عنهما وإنما أخذ يهدئ روعهما بأن أول لهما رؤياهما وهو لون من ألوان التعاون الاجتماعى . ولم يقتصر تعاونه الاجتماعي على هذين الفتيين بل نراه يقوم بهذا الدور نفسه مع الملك في تعبير رؤياه التى رآها والتى كانت سببا في توليه على خزائن الأرض إذ أنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون الخزائن لجاه أو مال

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ،(آية ٢٣ ، ٢٦)

وإنما للمحافظة على مجتمع أوشك على الهلاك وقد ظهر ذلك في قوله تعالى : " قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون " (١)

فهذا كله في حاجة الى الحفظ والعناية والقدرة على إدارة الأمور بدقة ، وفي حاجة الى الخبرة وحسن التصرف والعلم بكافة فروعه الضرورية لتلك المهمة في سنوات الخصب وفي سنين الجدب على السواء ومن ثم ذكر يوسف عليه السلام ما تحتاج إليه المهمة التي يرى أنه أقدر على أدائها وأن وراءها خيرا كثيرا لشعب مصر والشعوب المجاورة بفضل ما أمتن الله تعالى عليه من علم إدارة الأعمال فقال تعالى : " قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " (٢) ، حفيظ على حقوق أهله وأقاربه حفيظ على حقوق مجتمعه ووطنه . (٣) وهو ما يقضي به عدله وحسن إدارته وتوزيعه لما في يده من هذه الخزائن وحسن عدله وتعاونه مع أبيه وإخوته بروح ندية تسعى لمرضات الله تعالى في صبر وثبات وذلك عندما جاء إخوته للمرة الثانية الى مصر وقد ظهرت آثار المجاعة عليهم إذ جاءوا ببضاعة رديئة ليشتروا بها ما يحتاجون اليه من الزاد فأنقذهم مما هم فيه

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩)
(٢) سورة يوسف عليه السلام ، آية (٥٥)
(٣) خلق المسلم محمد الغزالي ، ص ٤٢

لمعرفته عليه السلام لحقيقة واجبه التعاونى نحو هذا المجتمع الذى بعث له على الرغم من المكاره التى ألمت به بسببهم فكان كرمه وإحسانه مانعا حصينا للإنتقام من إخوته جعله يقابل ذلك كله بالصفح والغفران وانقاذ والده يعقوب عليه السلام من حزنه الذى أحنى جسده وأضعف بصره .

قال تعالى : " فلما دخلوا عليه قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين" (١)

(فالمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد تتطلب خلقا لا يتغير باختلاف الايام بين نعمى وبوءسى والسنين وذلك جوهر الأمانة (٢) وبذلك يلقي علينا يوسف عليه السلام درسا عظيما يمكن أن نأخذ منه العبرة في المحافظة على حقوق الغير ، فتعهد الآباء بتربية أبنائهم وتوجيههم في حياتهم العلمية والأدبية من أهم الأمور وأوكدها لتجعل منهم جيلا صالحا لإرشادهم وتعليمهم العلوم المتضمنة لأجل وأعظم وظيفة يجب أن تنمى في نفوسهم وضمائرهم وعن كيفية المحافظة على حقوق الغير لتصان بها حقوق الله والأهل والأقارب وحقوق مجتمع عماده صدق أفراده وأمانتهم ووفائهم فلا يفرطوا في الأعمال والودائع التى تسند اليهم بل يبذلوا غاية جهدهم في أدائها والمحافظة عليها وعدم الاستهانة بها وحتى لا يوءدى ذلك إلى شيوع الفساد والعبث والتفريط في كيان المجتمع الذى يعيشون فيه (إنها الأمانة أو الفريضة التى يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها) (٣)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام، آية (٨٨)

(٢) خلق المسلم - محمد الغزالى ، الأمانة، ص ٤٣ الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٤م.

(٣) خلق المسلم ، محمد الغزالى، الأمانة، ص٤٢

فضياع الدين هلاك الأمم في الدارين الأولى والآخرة فلذلك نجد يوسف عليه السلام كان حريصا في المحافظة على حقوق الله تعالى وحقوق الناس التى تولى إدارتها بنفسه ليكون القدوة في التربية لأن الأخلاق الفاضلة أساس لنجاح الأمم والصفات الحميدة يقتبسها الأبناء من الآباء اذا ساروا على نهج أنبيائهم ورسلهم .

المبحث الثاني

عدم كتمان العلم

المبحث الثاني

عدم كتمان العلم

وهب الله تعالى يوسف عليه السلام حكما وعلما وجعله معجزته التى فاق بها أهل مصره فى إبطال كيد الكهنة والعرافين ليخرج الناس من خبأ الجهل والضلال بهذا النور الإلهى الذى قام بنشره وتعليمه لكل من تعهده، وطلب أن يعلمه مما وهبه الله تعالى من تأويل الرأى وتفسيرها حتى فى سجنه الذى مكث فيه لم يضن بعلمه على رجاله المقيمين فيه ليبين لهم أن خلقهم ووجودهم لم يكن عبثا ولا هملا وانما خلقوا لعبادة الله عز وجل وحده دون سواه وذلك عندما قص الفتيان اللذان دخلا معه السجن رؤييهما عليه وطلبا منه أن يفسر لهما رؤياهما ، قال تعالى : " ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين "(١) فكان عليه السلام ذا دور فعال فى التعاون الاجتماعى مع الفتيين اللذين قصداه وطلبا منه عدم كتمان علمه وإخلاصه فيه فجعل تأويل الرؤيا واضحا جليا للفتيين حيث قال تعالى : " يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذى فيه تستفتيان "(٢)

ونرى كذلك دوره فى التعاون الاجتماعى الذى أثبت تفوقه فى علم التعبير على الملأ كافة الذين عجزوا من تفسير رؤيا الملك التى رآها فى منامه والتى ادعوا أنها أضغاث أحلام لعجزهم وعدم مقدرتهم على ما يدعونه من العلم والمعرفة وذلك عندما أتى اليه الساقى وقص عليه الرؤيا ، قال تعالى : " يوسف أيها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع

(١) سورة يوسف عليه السلام : آية ٣٦ .

(٢) سورة يوسف عليه السلام : آية ٤١ .

عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ، قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون "(١)

فتجاوب يوسف عليه السلام مع آيات الله في خلقه ومع كل مظاهر الحياة على الأرض أصبح أهلا لرسالة الاستخلاف في الأرض والحياة فيها على هدى من ربه ووفق نهجه وتوجيهه حتى في سجنه الذى أضحى شبيها بالمدرسة العلمية التي يقصدها طلاب العلم للإغتراف من مناهله العلمية فكشف لهم من الحق ما التبس وشرح وبين من التأويل والتفسير ما عجز عنه الملأ كافة في ذلك العصر ، فأثبت دوره العلمي في التعاون الاجتماعي القائم على الإخلاص ، والتفاني في عدم كتمان ما خصه الله عز وجل به من العلم والمعرفة ، فيكون النبراث الصادق في أخذ العبرة منه في عدم كتمان العلم عند الحاجة اليه لتحقيق الغرض المنشود في إنشاء أبنائنا على حب العلم والإخلاص له بروح تتسم بالطهارة والصفاء كما تتسم بالصبر والطاعة والعمل على تبليغه والجهاد في سبيل الوصول اليه ، لأنه قيمة عظيمة وجوهرة كبيرة رفعه الله عز وجل فوق كل سلطان وملك وقد بين القرآن الكريم منزلة العلماء ورسم لهم صورة مشرفة منيرة توحي بما يصنعه العلم في قلوبهم وسلوكهم بقوله تعالى : " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم "(٢) . فالعلم وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب إلى الله تعالى ولا يتوصل

(١) سورة يوسف عليه السلام : آية ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨ .

إليه إلا به وثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة ، وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام(١) واقتداء بيوسف عليه السلام فانه لم يتوصل الى التمكن من العمل على خزائن مصر ونفوذ حكمه على ملكها إلا بفضل حكمه وعلمه اللذين أنعم الله عز وجل بهما عليه لأن هذا هو طريق الحياة والعز والمجد والخلود في الدارين الأولى والآخرة ، فما أحوج أبنائنا الى هذه التربية السامية والمبادئ والتعاليم الخالدة ، وقاية لنا ولهم من الوقوع في النار ، فالآباء يحرصون على حماية أبنائهم من الوقوع في نار الدنيا ، فالحماية من الوقوع في نار الآخرة أولى بهم من وعيد الله تعالى الشديد لكل من حاول كتم ما امتن سبحانه به عليه من العلم النافع والعمل الصالح الدال على الخير لقوله تعالى : " إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم" (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه الترمذي قال : حدثنا أحمد بن بديل بن قريش اليامي الكوفي أخبرنا عبد الله بن نمير عن عمارة بن زاذان عن علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم ثم كتمه أُلجم يوم القيام بلجام من نار ". (٣)

" فالملجم لسانه من قول الحق والإخبار من العلم والإظهار له يعاقب في الآخرة بلجام من نار " (٤)

---

(١) احياء علوم الدين - الامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، جـ ١ ، ص ١٢ ، في الشواهد العقلية - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان .

(٢) سورة البقرة : آية ١٧٤ .

(٣) سنن الترمذي أبواب العلم باب ما جاء في كتمان العلم ، جـ ٤ ، ص ١٣٨

(٤) مختصر سنن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني - جـ ٥ ، ص ٢٥١ ، طبعة عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

فتربية الأبناء وتعليمهم وغرس حب عدم كتمان العلم عند الحاجة اليه ، هى التربية الاسلامية التى تجعل الأبناء يعملون بما علموا وينشرون ما تعلموا بين الناس ليكون لهم شرف العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله .

المبحث الثالث

الدّعوة إلى اللهِ

المبحث الثالث

الدعوة الى الله

أخذ يوسف عليه السلام منذ أن أوحى الله تعالى اليه ، وهو في غيابة الجب ، بقوله : " وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون "(١) يهيء نفسه بمعونة الله له ليكون رسولا يدعو الناس الى دين الله تعالى ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ،ويتحين الفرص السانحة لهذه الدعوة التي سبقه إليها آباؤه من الأنبياء والمرسلين ليعرض بعض الحقائق الثابتة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته وحده دون سواه ،ويعرفهم بكافة جوانب الدين ،فلما دخل السجن شاء الله تعالى له أن يدخل في صحبته رجلان أخذ يتقرب اليهما ويتعرف عليهما من خلال سؤالهما له حيث " قال أحدهما : إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين "(٢) . أي من أهل الإحسان الذين نأمل فيهم المعرفة .

فكانت أول مبادرة منه عليه السلام هي طمأنينتهما بأن كل ما يصل اليهما يبلغهما بما فيه من خير أو شر(٣) شريطة أن يصغيا ويستجيبا لما يدعوهما اليه .

---

(١) سورة يوسف : آية (١٥) .

(٢) سورة يوسف : آية (٣٦) .

(٣) دعوة الرسل الى الله - تأليف محمد أحمد العدوي ،ص ١١٥ - طبعة عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

" قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله " (١)

ثم أشار الى ذلك بقوله : " ذلكما مما علمني ربى " (٢)

وهو إشارة الى الرب الذى وهبه وفهمه هذا العلم الذى اختصه به تعالى دون سائر خلقه (فهو لم يخبرهما على وجه الكهانة والنجوم وانما يخبرهما بوحى من الله وعلم حصل بتعليم الله) (٣)

" ذلكما مما علمني ربى ".

ثم علل عليه السلام لهما سبب تعليمه الله له هذا العلم واختصاصه به . وهو ترك ملة هؤلاء القوم الذين يعيش فى كنفهم ويقصد بذلك العزيز وحاشية قصره والهكسوس المستعمرين للبلاد وهم جميعهم وثنيون يدينون بدين الوثنية فقال كما قال تعالى : "إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون" (٤)

وتكرير لفظة (هم) فى قوله : " وهم بالآخرة هم كافرون " إشارة الى شدة إنكارهم للميعاد (٥) فهم كافرون أصلا وفى حديث يوسف عليه السلام إشارة الى دعوته لهم فهو يعلم هذا متبع لملة الحق

---

(١) سورة يوسف عليه السلام : آية (٣٧) .
(٢) سورة يوسف عليه السلام : آية (٣٧) .
(٣) تفسير الفخر الرازى . حـ ٥ ص ١٢٨
(٤) سورة يوسف : آية ٣٧ ، ٣٨ .
(٥) تفسير الخازن ، جـ ٣ ، ص ١٥ .

التى كان عليها آباؤه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام . فلقد كانوا على التوحيد وترك الشرك إعترافا بفضل الله وإقرارا بحقه الذى أنعم به عليهم وبث آياته على الكون وعلى الناس يراها أصحاب العقول الذين يشكرون النعمة ولا ينكرون ولا يجحدون .

وفى هذا دعوة من يوسف عليه السلام للرجلين ، اتبع فيها منهجا حكيما .

ثم بدأ عليه السلام ينقد الآلهة التى يعبدونها بأدلة دقيقة بعد أن لمس فى قلبيهما استجابة وميولا لعقيدته التى أخبرهما عنها فأخذ ينكر ما هم جميعا عليه من الفساد والضلال قائلا لهما ، قال تعالى : " يا صحبى السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار"(١) واذا كانت هذه الآلهة التى صنعتموها بأيديكم أنتم وآباؤكم صادقة ما احتاجت إليكم وإلى صناعتكم ورعايتكم . أما انكم تقومون بكل هذه الواجبات نحوها فهى إذا غير صادقة وأنتم الذين تصنعونها وتضعون لها أسماء فهى من صناعتكم ولذا فهى لا تصح أن تكون آلهة " ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان"(٢) فهى محتاجة فى الصناعة وفى التسمية والمحتاج الى الغير لا يكون إلها .

وأيضا (إن الحكم " وهو القضاء والقدر " الا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه " ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "(٣) . فالذى يملك

---

(١) التفسير الكبير ، جـ ٥ ، ص ١٣٠ .
(٢) سورة يوسف : آية (٣٩) .
(٣) سورة يوسف : آية (٤٠) .

الحكم هو الاله والحكم هو لربي" أمر ألا تعبدوا إلا اياه " وهو ايمان بالتوحيد فدعاهم الى التوحيد بالأدلة والمقارنة ، هل الإله أفضل أن يكون واحدا أم الأفضل أن يكون متعددا ؟ .

فالانسان بعقله يرى أن الاله واحد لأنه إذا تعددت الآلهة فانها تؤدى الى الفساد .

ودعوته عليه السلام لهما لم يكن له فيها أجر أو منفعة أو جاه أو سلطان لأنه يعلم أن الأجر والحساب فى النهوض بعقيدة التوحيد والدعوة إليها على الله الواحد القهار.

فرسم عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة كل معالم هذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة ،كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزا شديدا عنيفاً. (١)

وللدعوة فى قصة يوسف دروس منها :

أولا : البدء بالقضايا الأساسية فى الدعوة .

ثانيا : ضرورة الداعى الكفء.

ثالثا : اتباع أسلوب حكيم فيه وضوح وبيان .

رابعا : الاستفادة من الظروف المناسبة .

وبيان ذلك فيما يلى :

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، جـ ٤ ، ص ١٩٨٩ .

أولا : البدء بالقضايا الأساسيــة :

نلاحظ فى حديث يوسف عليه السلام للرجلين أنه دعاهما الى قضايــا محددة وهى توحيد اللــه تعالى فى ألوهيتــه و ربوبيتــه وأسمائه وصفاتــــه والإيمان بكل ما يجيء من اللـه سبحانه وتعالى ، والإيمان باليوم الآخـــر الذى يحاسب فيه الإنسان على ما قدمت يداه .

و نلاحظ أن تلك هى الأساسيات فى الدعوة الى الله تعالى ، والتى أرى أن يبدأ الدعاة الى الله تعالى بها وأهم هذه الأسس هى :

١ - قضية التوحيد :

وينقسم التوحيد الى ثلاثــة أسام :

أ - توحيد الألوهيــة .

ب - توحيد الربوبيــة .

جـ - توحيد الأسماء والصفات .

أ - توحيد الألوهيــة :

أشار يوسف عليه السلام الى توحيد الألوهية بقوله للفتيين : " ان الحكم الا للــه أمر ألا تعبدوا الا اياه " ذلك أن توحيد الألوهية هو استحـقاقــه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له (١) قال تعالى : " وما أمـــروا الا ليعبدوا اللــه مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكــاة وذلك دين القيمــة " (٢)

---

(١) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية - العلامة على بن على بن محمد بن أبى العز ، ص ١٢ - الطبعة الثالثة - الناشر زكريا على يوسف - مطبعة العاصمة .

(٢) سورة البينة : آية (٥) .

وقال تعالى : "إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون "(١)

(فاذا شهد أنه لا اله الا هو فقد أخبر ونبأ وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله وأن ألوهية ما سواه باطلة فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصح الألوهية لغيره . وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده الها والنهى عن اتخاذ غيره معه الها) (٢)

ب - توحيد الربوبية :

هو بيان أن الله وحده خالق كل شيء وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان فى الصفات والأفعال .

وبين الله سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده وأنه هو الذى يأتى العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له فى ذلك فلم تعبدون غيره وتجعلون معه آلهة أخرى . (٣) .

كما قال تعالى : يا صحبى السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ،ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أُنزل الله بها من سلطان إن الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "(٤)

---

(١) سورة التوبة : آية (٣١) .
(٢) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ،ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٣) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ، ص ١٧ .
(٤) سورة يوسف : آية (٣٩ - ٤٠) .

وقال تعالى : " قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير أما يشركون ، أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون "(١)

ج - توحيد الأسماء والصفات :

هو إثبات أسماء الله تعالى وصفاته كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تعطيل فهو سبحانه ليس كمثله شيء . كما أخبر به من نفسه ، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أفصح القرآن من هذا النوع كل الافصاح (٢) .

كما قال تعالى : " الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى "(٣) ، وقال تعالى : " هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم "(٤) وقال تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "(٥) .

والتوحيد الذى دعى اليه الرسل جميعا واحد يتضمن الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما سواه من الآلهة التى لا تضر ولا تنفع لأن وجود هذا الكون ونظامه وتسييره وفق حياة أفضل يدل دلالة واضحة على أن خالق هذا الكون ومدبره واحد لا اله غيره .

لقوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش

---

(١) سورة النمل : آية (٥٩-٦٠) .
(٢) شرح الطحاوية ،ص ٢١ .
(٣) سورة طه : آية (٨) .
(٤) سورة الحديد : آية (٣) .
(٥) سورة الشورى : آية (١١) .

عما يصفون "(١)

(أي لو كان في العالم كله خالقان أو معبودان غير الله تعالى لفسد نظام الكون ونظام الحياة الدنيا والآخرة. (٢)

إننا ننظر الى عالم الكفر والإلحاد الذين يعبدون آلهة متعددة وأربابا متفرقة فغوى الإنحلال والاضطراب لا ينفكان من الفتك بهم والقضاء عليهم من جميع النواحي الدينية والخلقية والعقلية والمادية نتيجة لعدم ايمانهم بالاله الحق .(٣)

فهم محتاجون الى الداعي الكفء الذي يدعوهم الى عبادة الله وحده ونبذ ما سواه بالأدلة والبراهين الدالة على أنه تعالى خالق هذا الكون ومبدعه وأنه تعالى ليس له شبيه ولا مثيل لا في خلقه ولا في قدرته ، وأنه لو كان معه آلهة أخرى إذا لتفرد كل إله بما صنع وبما خلق ،كما قال تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فسبحان الله عما يصفون "(٤) .

فالآية دالة على أن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر ، فلو كان تعالى معه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ لا يرضى تلك الشركة في ملكه بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والألوهية دونه فعل ، وان لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم من بعض بملكه . (٥)

---

(١) سورة الأنبياء : آية (٢٢) .
(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ،ص ١٨ ، ١٩ .
(٣) البداية والنهاية - باب ذكر الملائكة وصفاتهم ،ج ١ ،ص ٤٩ ، ٥٠ .
(٤) سورة المؤمنون : آية (٩١) .
(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، ص ١٩ . بتصرف .

و

فقضيـــة التوحيد هى أول قضيـــة يستلزم الداعى إلى الله أن يدعـــو اليها الناس على بصـيرة وهدى وعلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ، فإذا ضمن لها القبول والتأييد واصل دعوته الى ما يلى :

١ - الايمان بالملائكـــة : الذين خلقوا لعبادته تعالى وحده لا يعصـون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فهم بالنســبة الى ما هيأهم اللـه له أقسـام :

- منهم حملة العرش ، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش ، وهـم أشرف الملائكة مع حملة العرش وهم الملائكة المقربون ، ومنهم جبريـــل وميكائيل عليهما السلام (١) . وقد ذكر الله تعالى أوصافهم .

قال تعالى : " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهـم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمـــا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم " (٢)

ومنهم سكان السموات السبع يعمرونها عبادة دائبـــة ، ومنهم الذيـن يتعاقبون زمرة بعد زمرة الى البيت المعمور كل يوم سبعون الفا لا يعودون اليه آخر ما عليهم ، ومنهم الموكلون بالجنان واعداد الكرامـــة لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها ، ومنهم الموكلون بالنار (٣) . ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد . (٤)

---

(١) البداية والنهاية - باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم ، جـ ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠

(٢) سورة غافـر : آية (٧) .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ، جـ ١ ، ص ٤٠ ، ٥٠ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ، جـ ١ ، ص ٥٠ .

٢ - ثم يلي الايمان بالملائكة الايمان بالكتب المنزلة التي أنزلها الله عز وجل على رسله الكرام وبيان أن الايمان لا يكمل الا بها وأن الكفر بها أو بأحدها كفر بالله تعالى .

ومن هذه الكتب السماوية التي أنزلت على الرسل :صحف ابراهيم:
قال تعالى : " إن هذا لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى " (١)

ومنها الزبور الذى أنزل على داود عليه السلام . قال تعالى :
" وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا " (٢)

وأنزل التوراة على موسى ،قال تعالى : " وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا " (٣) .

وأنزل الانجيل على عيسى بن مريم . فقال تعالى : " وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين " (٤)

ثم أنزل القرآن الكريم والذى نزل به الروح الأمين على أشرف الأنبياء والمرسلين ليكون هدى للمؤمنين ومعجزة لكل كفار أثيم (فهو كتاب الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته) (٥)

---

(١) سورة الأعلى : آية (١٨-١٩) .
(٢) سورة الاسراء : آية (٥٥) .
(٣) سورة الاسراء : آية (٢) .
(٤) سورة المائدة : آية (٤٦) .
(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن ، جـ ١ ، ص ١٣ .

وهو عماد اللغة العربية تدين له اللغة فى بقائها وسلامتها وتستمد علومها منه على تنوعها وكثرتها ، وتفوق سائر اللغات العالمية فى أساليبها ومادتها (١) . قال تعالى : "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "(٢) .

ومن رحمته تعالى على عباده أنه لم ينزله جملة واحدة كبقية الكتب السماوية وانما نزل منجما أى مفرقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بضع وعشرين سنة حسب الحوادث والأسباب للعبرة والإتعاظ ومخاطبة العقول والضمائر بالأدلة والحجة الدامغة(٣) . لذلك كان تحديه للانسانية قاطبة بأن تأتى بمثله أو بسورة واحدة منه فكان العجز طبيعة الانسانية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنهم لن يستطيعوا الاتيان به .

٣ - الايمان بالرسل الكرام جميعا من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنهم الصفوة المختارة الذين اصطفاهم الله وطهرهم على العالمين لأداء رسالة سماوية تنظم وتنسق حياتهم الروحية والاجتماعية ليسيروا وفق منهج الاسلام ودستوره الخالد وأن بعثتهم كانت الى أمم شتى يدعو كل رسول أمته الى رسالة واحدة هى رسالة التوحيد يشهدون فيها ويقرون بأن الله هو وحده المعبود دون سواه من غير يأس أو قنوط من رحمة الله ونصرته على كل معارض يكذب بما أرسلوا به وأن وعده حق الى يوم يبعثون .

قال تعالى : " حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ، ج ١ ،ص ٣ .
(٢) سورة يوسف : آية (٢) .
(٣) بينات المعجزة الخالدة - د . حسن ضياء الدين عتر . بتصرف - الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م - دار النصر - سورية - حلب .

فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين "(١)

وهذه الآية فيها تنزيه الأنبياء وعصمتهم عما لا يليق بهم ، " حتى إذا استيأس الرسل " أي يئسوا ،من ايمان قومهم . وظنوا أنهم قد كذبوا ، بالتشديد ،أي أيقنوا أن قومهم كذبوهم .
وقيل المعنى : حسبوا أن من آمن بهم من قومهم كذبوهم ،لا أن القوم كذبوا ، ولكن الأنبياء ظنوا وحسبوا أنهم يكذبوهم - أي خافوا أن يدخل قلوب أتباعهم شك . وفسر ابن عباس وابن مسعود وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو جعفر بن القعقاع وغيرهم (كذبوا بالتخفيف أي ظن القوم أن الرسل كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يصدقوا . (٢)

وقيل المعنى : ظن الأمم الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من نصرهم .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الامام البخارى قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى : " حتى إذا استيأس الرسل ، قال قلت أكذبوا أم كذبوا قالت عائشة كذبوا ،قلت فقد إستيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن قالت أجل لعمرى لقد إستيقنوا بذلك ،فقلت لها وظنوا أنهم قد كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية ،قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك . (٣)

---

(١) سورة يوسف : آية (١١٠)
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، جـ ١ ، ص ٢٧٥ .
(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير باب قوله " حتى اذا استيأس الرسل " ، جـ ٥ ،ص ٢١٧ .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث للناس كافة بشيرا ونذيرا وأن الكتاب الذى أنزل عليه هو آخر الكتب السماوية والذى نسخها جميعا والذى تعهد الله تعالى بحفظه من كل تحريف بخلاف الكتب الأخرى السابقة التى تعرضت للتبديل والتحريف حسب هوى الأمة التى أنزلت عليها فأجرى الله تعالى على يده المعجزات الدالة على صدق نبوته حتى دانت له ملوك الأرض جميعا وأيده بنصره وأعز الله به الاسلام والمسلمين فكان هدى ورحمة للمؤمنين .

٥ - الايمان باليوم الآخر :

وهو خامس أركان الايمان فيه يفصل الله عز وجل بين الخلائق وتنكشف الحقيقة الالهية بجميع ما أخبر عنه فى الكتب والتى كذبت بها الأمم السابقة وأنكرت البعث والنشور وكفرت بالحق لما جاءها ، " وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءأنا لمبعوثون "(١) وكان الله تعالى يرد عليهم شبههم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : " أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون "(٢)

قال ابن عباس مجللة .

وقيل عذاب يغشاهم .

وقيل وقيعة تقع لهم .

وقيل يعنى الصواعق والقوارع .

---

(١) سورة الواقعة : آية (٤٧) .

(٢) سورة يوسف : آية (١٠٧) .

" أو تأتيهم الساعة بغتة " قال ابن عباس تصيح الصيحة بالناس وهم فى أسواقهم ومواضعهم . (١)

فالآيات الكريمة دالة بأن هذا اليوم حق وقد أقسم الله عز وجل به تعظيما لشأنه وتأكيدا لوقوعه كي يستعد الانسان له فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، وحتى لا تكون الحسرة والندامة عند معاينته ومشاهدته فيقول ياليتني كنت ترابا " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار " (٢) ليشاهدوا ذلك العرض الذى تعرض فيه الخلائق على الله للجزاء والحساب وإقامة الميزان الذى توزن فيه كفتى الحسنات والسيئات فمن طغت كفة حسناته على كفة سيئاته أخذ كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا ، ومن طغت كفة سيئاته على كفة حسناته أخذ كتابه بشماله وحوسب حسابا عسيرا ، ويلقى سعيرا .

وأول ما يبدأ هذا اليوم بالنفخة الأولى وهى النفخة فى الصور ويأمر الله عز وجل اسرافيل بالنفخ في الصور فيصعق بها من فى السماوات والأرض ،قال تعالى : " ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون " (٣)

قال مقاتل : ان الصور هو القرن ،وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن بهيئة البوق ودائرة رأس القرن كقرص السموات والأرض ، وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر حتى يؤمر فينفخ النفخة الأولى . فإذا

---

(١) الجامع لاحكام القرآن - المجلد الخامس ، جـ ٩ ،ص ٢٧٣ .
(٢) سورة ابراهيم : آية (٤٨) .
(٣) سورة الزمر : آية (٦٨) .

نفخ صعق من فى السموات والأرض ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ،ثم روح إسرافيل ،ثم يأمر ملك الموت فيموت ،ثم يبعث الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ فى أربعين سنة ،ثم يحيى الله تعالى إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية ،فذلك قوله تعالى : "ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون "(١) ، وقد سميت النفخة الأولى بالراجفة ، والنفخة الثانية بالرادفة وفيها تنفطر السموات والأرض وتصبح الجبال ترابا وتفجر البحار ،وتتناثر النجوم ، وتطمس الشمس والقمر (٢) .

قال تعالى : "يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ،قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها خاشعة ،يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة ، أءذا كنا عظاما نخرة ، قالوا تلك إذا كرة خاسرة ،فإنما هى زجرة واحدة ،فإذا هم بالساهرة "(٣)

وقال صلى الله عليه وسلم فى البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة فيما أخبر عنه الامام مسلم قال :

(حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر بن أبى كثير حدثنى أبو حازم بن دينار عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد) (٤) .

قال النووى : العفراء : بالعين المهملة والمد : بيضاء الى حمرة .

والنقي : بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء : الأرض الجيدة.

قال القاضى : كأن النار غيرت بياض وجه الأرض الى الحمرة .

---

(١) احياء علوم الدين للامام الغزالى - صفة نفخة الصور - ج ٤ ، ص ٥١٢ .

(٢) احياء علوم الدين للامام الغزالى - ج ٤ ،ص ٥١٣ .

(٣) سورة النازعات : الآيات (٦ ،٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤)

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب فى البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة - المجلد التاسع ،ج ١٧ ،ص ١٣٤

قوله صلى الله عليه وسلم "ليس فيها علم لأحد" هو فتح العين واللام أى ليس بها علامة سكن أو بناء ولا أثر". (١)

يقول الامام مسلم (حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله أخبرني عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ،ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ، أين المتكبرون) (٢) .

ثانيا : ضرورة الداعية الكفء للدعوة :

فى قصة يوسف عليه السلام من العبر والدروس نبراس يستضاء به فى مجال الدعوة الى الله عز وجل ومن هذه الدروس أن الصفات التى تحلى بها عليه السلام يجب أن يتسم بها كل من وجدت فيه الكفاءة والقدرة للقيام بتبليغ دعوة التوحيد ونشرها والمحافظة على استمرارها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

والدعوة الى الله لا يقوم بها كل "من سولت له نفسه" أن يدعوا الى الله تعالى دون أن يكون على هدى وبصيرة لما يريد أن يدعو اليه بل يجب أن تتوفر فيه الصفات والمزايا التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم وتحلى بها رسل الله الكرام .

وأهم هذه الصفات هى :

أ - قوة صلة الداعى بالله عز وجل : (٣)

من الصفات التى يجب أن يربى عليها داعى الله عز وجل منذ الصغر أن تكون صلته بالله قوية ووطيدة يعرف ربه ويتعلق قلبه به ، ويعرف ما يجب

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ، جـ ١٧ ، ص ١٣٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب فى البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة ، جـ ١٧ ، ص ١٣١ .

(٣) دراسات فى الدعوة الاسلامية - الدكتور أحمد احمد غلوش - طبعة عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

له سبحانه وتعالى ويوقن بسائر صفات الله الثابتة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأن يلتزم بالعبادات فيؤديها لوجهه سبحانه وتعالى قائماعلى ذكره الأكبر بقراءة القرآن وحفظه وتدبر معانيه ، وغاياته وفى ركوعه وسجوده ، فقيام العبد ومداومته على الصلاة يبعده من الفحشاء والمنكر و يعصمه من الشيطان والوقوع فى الخطيئة والشر . فيكون فى معية الله القوى الغالب القائل فى كتابه الحق " أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون "(١)

الآية تشير الى أن الصلاة اتصال بالله وتقرب اليه بقراءة قرآنه وتذكر لما فى تضاعيفه من المعانى وتذكير للناس وحمل لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق (٢) . فهى سبب (للانتهاء من الفحشاء والمنكر ولا بد أن تكون مع الانقياد التام والاعراض عن معصيته لأن الله تعالى يعلم ما تصنعون فيجازيكم بها أحسن الجزاء) .

فالقرآن الكريم ملىء بالمواعظ والعبر التى تجعل قلب الداعى الى الله يسير على بصيرة تامة وصدر رحب يدرأ بالحسنة السيئة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ليفوز بعقبى الدار يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وقد جاء فى تذكرة الدعاة قوله :

" ومن تقديره سبحانه أنه جعل مطالعة هذا الكتاب ميسوراً للعالم والجاهل والقارىء والأمى فما على المرء الا أن ينظر أو يسمع أو يلمس ثم يفكر

---

(١) سورة العنكبوت : آية (٤٥) .

(٢) تفسير أبى السعود - جـ ٧ ، ص ٤١-٤٢ .

فيما وقع عليه حسه فى حدود نسبته الى الخالق تعالى أى فى حدود أنه صنع الله فان هذا التفكير يشهد فى معالم الصنع ودلالته الكثيرة من العبر والآثار الدالة على معانى صفاته جل شأنه فيثير فى القلب إحساسات رقيقة ووجدانات عالية ،كأنما تسربت روح العالم الكبير اليه فاذا بلغ هذه الدرجة فقد إتصل ما بينه وبين الله سبحانه . (١)

وهذه الصلة القوية بالله التى يجب أن يتحلى بها الدعاة مستفادة أيضا من قصة يوسف عليه السلام فهو عليه السلام حينما خوف بالسجن اتجه لربه قائلا : " قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين "(٢) حيث نراه يتجه الى ربه فى تضرع ورجاء ، مما يشير الى قوة صلته بربه "فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن " (٣) ونجده عليه السلام يتمسك بالتوحيد ويدعو اليه خلال المدة التى سجن فيها وما ذلك الا لقوة ايمانه ، ونراه عليه السلام يعيد الفضل لله وهو يقول لإخوته : " قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين "(٤) وأيضا نراه عليه السلام يتوجه الى ربه شاكرا على تمام النعمة يوم أن التقى بأبيه وإخوته يقول : " رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين "(٥) فالله تعالى هو الذى أعطاه وهو الذى علمه ، وهو وليه وإليه المقصد والدعاء .

---

(١) تذكرة الدعاة - البهى الخولى ، ص ١٥١ - الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - مكتبة الفلاح - الكويت .

(٢) سورة يوسف : آية (٣٣) .

(٣) سورة يوسف : آية (٣٤) .

(٤) سورة يوسف : آية (٩٠) .

(٥) سورة يوسف : آية (١٠١) .

ان هذه الصلة القوية بالله تعد نبراسا للدعاة وطريقا يجب عليهم أن يلتزموا به ليوفقهم الله وينصرهم .

وعلى الدعاة أن يتيقنوا أن قوة الصلة بالله تؤدى بهم الى الفوز والنجاح والتغلب على المشاق والمصاعب . فها هو يوسف عليه السلام، قد مكن الله له فى الأرض ونصره وأيده . يقول تعالى : " وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين"(١)

على الدعاة أن يخلصوا فى عبادتهم لربهم واخلاصهم له " ولسوف ينتصرون بإذن الله تعالى فإن العاقبة للمتقين .

ب - قوة صلته بالناس :

الدعوة الاسلامية تعتمد فى نشرها على مدى كفاءة الداعى وقدرته على القيام بها وقوة صلته بالناس وتأثره بهم وتأثيره فيهم والوقوف على أحوالهم الاجتماعية والخلقية من طريق العلم والمعرفة الصحيحة ليكون القبول والايجاب فى النفوس التى يدعوها فى وضوح تام جلى ، فتهوى أمامه أفئدتهم ويدخلون فى دين الله أفواجا يؤازرونه ويناصرونه لاتصاله بهم ومجالستهم وتفقد أحوالهم فيعود مريضهم ، ويواسى فقيرهم ، ويعين محتاجهم ، وينصف مظلومهم ، ويجعل أحاسيسه وعواطفه متصلة بأحاسيسهم وعواطفهم يؤلف بين قلوبهم ، ويبين لهم فضل الحب(٢) فى الله كما جاء فى الحديث فيما روى عنه صلى الله عليه وسلم ،روى الامام مسلم قال : حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس فيما قرئ عليه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن أبى الحباب سعيد بن

---

(١) سورة يوسف : آية (٥٦) .

(٢) دراسات فى الدعوة الاسلامية ،ص ١٤٧ .

يسار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم فى ظلي يوم لا ظل الا ظلي "(١)

ففضيلة الحب فى الله هى من أعظم الفضائل التى يسبغها الله عز وجل على عباده لعظمته وطاعته لا للدنيا وإنما يظلهم حقيقة فى ظل عرشه يوم القيامة. (٢) ويرشدهم الى الخير ليعملوا به ، ويبعدهم عن الشر ، لينتهوا عنه ، ولا يفاضل بينهم بل ينظر الى فقيرهم وغنيهم نظرة واحدة وكذلك شريفهم ووضيعهم ولا يكون هذا التفاضل إلا لأتقاهم لأنه يدعوهم لهدف واحد وغاية واحدة هى الايمان بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا مبعوثا رحمة للعالمين ، والايمان باليوم الآخر وما فيه من الجزاء والحساب وأن الجنة حق والنار حق فيجعل منهم قوما صالحين ذوى قلوب طاهرة خالية من الرياء والنفاق يعبدون الله وحده ولا يشركوا به شيئا ويتفكرون فى ملكوت السماوات والأرض ويتقربون اليه بالنوافل التى تزيد من اتصالهم به تعالى . قال تعالى : " ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا "(٣) ، وملازمة الداعى أصحابه وأتباعه من أهم الواجبات التى يقوم بها يعظهم ويوجههم لما فيه خير دينهم ودنياهم ، ويتحمل الأذى والشدائد فى سبيل هذه الدعوة وقد ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دروسا عظيمة فى ملازمته لأصحابه وتحمله أشد أنواع التعذيب حين بدأ الدعوة الى الله تعالى ، حيث بعث فى أمة مشركة تعبد الأصنام والأوثان لا تعرف لها إلها غيرها ، ولا تعرف المساواة فى الحياة الاجتماعية ، فالأغنياء فيهم السادة والأشراف بيدهم زمام الأمور يديرونها كيف شاءوا ويأخذون بيد القوى ويضربون على يد الضعيف ، وكانت العصبية القبلية السائدة بينهم ، فالقبيلة القوية تغير على القبيلة الضعيفة للنهب والسلب .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصله والأدب باب فضل الحب في الله
ج ١٦ ص ١٢٣ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأدب فضل الحب فى الله
ج ٦ ص ١٢٣ بتصرف .

(٣) سورة الاسراء : آيه (٧٩) .

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم إستطاع بايمانه القوى وعلمه الحكيم وخلقه العظيم الذى وصفه به القرآن بقوله : " وإنك لعلى خلق عظيم "(١) استطاع أن يخرجهم مما هم فيه بالصبر والثبات أمام تكذيبهم وعنادهم الشديدين . وكان يقول لهم ما قاله الله تعالى : " قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين "(٢) .

فلا يصلح للداعية أن يطاوع نفسه فى العزلة مهما تزين له المقاصد والأساليب فصومعة الداعية ميدان دعوته ومحرابه الذى يستنزل فيه من الله الهدى والمعونة هو العمل لخير الناس . (٣)

وكل جانب من جوانب الدعوة التى اتخذها النبى صلى الله عليه وسلم تجلت لنا فى مدى إنتشار الدعوة فى جميع أنحاء العالم ومدى إقبال الناس عليها واعتناقهم لها .

والجوانب التى إتخذها يوسف عليه السلام فى دعوته هى نفس جوانب الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يقول : " يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "(٤)

---

(١) سورة القلم : آية (٤) .
(٢) سورة الأنعام : آية (١٤) .
(٣) تذكرة الدعاة البهي الخولي ، ص ٢١٣ .
(٤) سورة يوسف : آية (٣٩-٤٠) .

١ - الحلم والعفــو :

الحلم سيد الأخلاق لذلك وجب على الداعي أن يتناول طريــق دعوته بالحلم والعفو واتساع الأفــق ليكون القائد الموجــه والمصلح الحــق فلا يضيــق صدره ولا ينفذ صبره عند مواجهة المعارضين والمناوئين وأن يقابــل الشر بالاحسان ويتعرف على بواعثــه للقضاء عليه واستئصاله مـــن منابعه بالحكمة والموعظــة الحسنة ليسود الوفاق والوئام وتترابط الأواصـــر الإنسانية فتكون صلته دائمة بربه يخافــه ويخشاه ويتبــع أوامره ويتجنب نواهيه يعبده في السراء والضراء في سعيه لمعاشه ومعاملته لأهله ومجتمعه يحبهــم ويحبونه ويكون أشد حبــا لمرضات الله تعالى لقوله تعالى : "ولا تستــوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنــه ولى حميم "(١)

فالآية الكريمة تشير الى أن الحلم والعفو عند المقدرة من السمات التي تضفي على صاحبها زيادة الاحترام والتبجيل بين أبناء مجتمعه راسخا في ذبه من عقيدته لا يشطط في دعوته ولا يثور لأتفه الأسباب بل يسلك سبيل الهدوء والأناة محتفظا برجاحة وسماحة خلقه يبلغ رسالات ربه بالنصح والارشاد والحلم والعفو لقوله تعالى : "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين "(٢) .
والمعنى : اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستعصى عليهم فيستعصوا عليك فتتولد فيه العداوة والبغضاء وأمر بكل ما أمرك الله به واصفح عن الجاهلين.(٣)
يقول الترمذى :

حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أنبأنا شعبة عن إسحاق قال سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : "لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخاباً في الأسواق ولا يجــزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح "(٤)

---

(١) سورة فصلت : آية (٣٤) .
(٢) سورة الاعراف : آية (١٩٩) .
(٣) تفسير الخازن ، جـ ٢ ، ص ١٦١ .
(٤) سنن الترمذى - أبواب البر والصلة ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ - الحديث رقــم ٢٠٨٥ .

ومن قصة يوسف عليه السلام نلمس هذا الحلم وهذا العفو فلقد إستقبل عليه السلام ساقي الملك حين جاءه يسأله من تأويل الرؤيا ، واستمع اليه ، وأول له الرؤيا ، وحينما خرج من السجن خرج صافي النفس ، حليما وما ذلك الا لحلمه الكامل وعفوه عمن أساء اليه . وذلك خلق هام للدعاة .

ونلمس صفتي الحلم والعفو في يوسف عليه السلام مع إخوته الذين أساءوا إليه حين طلبوا منه ذلك واعترفوا بخطئهم له "قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين" (١)

والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ في الحلم أعلاه سواء من حلمه فيما كان يلقاه من جفوة الأعراب أم فيما عامل به بعد النصر غطرسة الأعداء (٢) .
روى الامام البخاري في صحيحه قال : حدثنا اسماعيل بن عبد الله قال حدثني مالك عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه برداءه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مرلي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له بعطاء " (٣)

كما أن معاملته لأهل مكة كانت تتسم بالحلم والأناة فكان صلى الله عليه وسلم يقابل الإساءة بالحسنة حيث بالغوا في إيذائه واضطهاده وتألبوا على قتله بأن يضربوه ضربة رجل واحد فيفرق دمه في القبائل فلا يستطيع أحد ان يأخذ بدمه فخرج مهاجرا الى المدينة المنورة حيث النصر والمؤازرة ولكن عندما عاد الى مكة عام الفتح لم يكن رد فعله لهم في الحلم والعفو . الا قوله لهم " يامعشر قريش ما ترونى فاعل فيكم قالوا

---

(١) سورة يوسف : آية (٩٢) .
(٢) تربية الاولاد في الاسلام - عبد الله علوان ، جـ ٢ ، ص ٤٦١ .
(٣) صحيح البخاري كتاب اللباس باب البرود والحبرة والشملة ، جـ ٧ ، ص ٤٠

أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقـــاء) (١)

فكان صلى الله عليه وسلم صاحب الحلم والصفح الجميل ، تنفيذا لأمر الله تعالى له : " فاصفح الصفح الجميل " (٢)

ومما يجعل الدعاة يلازمون الحلم تحليهم بالصبروالتجمل ، لانهم يدعون اشتاتا من الناس ، وسوف يلقون صدودا ، واعراضـــا ، وعليهم أن لايتأثروا بهذه الحالات ، بل عليهم أن يصبروا مادامـوا على الحق ، وللدعاة في ذلك أسوة برسل الله جميعا عليهـــم صلوات الله وسلامه ، إبتداء من آدم عليه السلام الى رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) البدايــة والنهاية لابن كثير حـ ٤ ص ٣٠١

(٢) ســورة الحجر آيه ٨٥ .

٢ - التواضع :

وعلى الداعي أن يكون متواضعا بين ناسه وعشيرته عزيز الجانب ذا قدر كبير في نفسه يشعره بالتواضع وعدم الكبر والتعالي على من أقل منه بل الكل سواء كأسنان المشط لا فرق بين عربي ولا عجمي ولا بين أبيض وأسود الا بالتقوى لأن الجميع من أصل واحد وأب واحد هو آدم عليه السلام ، فالتواضع يمكن صاحبه من الوصول إلى الهدف الذي جند نفسه للجهاد في سبيله وهو يعلم أن الله تعالى لم يخلق الناس ولم يجعلهم شعوبا وقبائل إلا للتعارف بأن أقرب خلق الله الى الله أكرمهم كما وضح وبين ذلك في قوله تعالى :

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير "(١)

والمعنى أنكم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وانما أكرمكم وأفخركم عند الله أتقاكم لأنه عليم ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم إلى معادكم . (٢)

---

(١) سورة الحجرات آية (١٣)
(٢) تفسير الخازن ، حـ ٤ ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

وصلة الداعى المستمرة بالناس أساسها التواضع والبعد من التكبر والتعالى اللذين يؤديان الى النفور عما يدعو إليه لأن النبى صلى الله عليه وسلم عند ما بدأ بالدعوة الى الله وأراد الله له التمكين فى الأرض لإعلاء كلمة الحق أمره أن يخفض جناحه لمن تبعه من المؤمنين وأن يبتعد عما سواه من الكبر والفخر فقال تعالى : " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين "(١) كما وضح صلى الله عليه وسلم لهم ذلك التواضع فى أقوال الرسل السابقين وأعمالهم التى كانوا يقومون بها على الرغم من مكانتهم ومنزلتهم الرفيعة عند الله عزوجل.(٢)

عن عياض بن حمار رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد ."(٣)

ونلمس تواضع يوسف عليه السلام فى دعوة الناس الى الايمان بالله وهو فى السجن وفى تعامله مع إخوته وفى إدارته لخزائن أهل مصر وحكمه للبلاد ساس به أمة كانت تعبد الأرباب من دون الله فآزروه وناصروه ودخلوا فى دين الله تعالى .

---

(١) سورة الشعراء : آية (٢١٥) .

(٢) دراسات فى الدعوة الاسلامية ،ص ١٠٤ .

(٣) مختصر سنن أبى داود ،جـ ٧ ،ص ٣٢٢ .

٣ - الصـــدق :

هو أحد دعائم القبول عند الله ، عز وجل ، والذى يكون سببا فـى نيل الانسان الدرجات العلى ،إن أن الصدق صفـة ملازمة للحق ،به يكـون النصر والفوز على كل باطل مدحوض كما بينه تعالى فى كثير من آياته القرآنيـة التى تميز بين الصدق وكونه فضيلة وانقياد الى الأعمال الصالحة الظاهـرة والباطنة وبين الكذب وكونه رذيلة وانقياد الى الشـر والتحلل من القيم والأخلاق الكريمة ،قال تعالى : " ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقـين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما "(١)

فصفـة الصدق هى الصفة الملازمة لكل مؤمـن يدعو إلى الله على بصيرة ليكون القدوة فى اتباع الحق لمن يؤمن به ويتبعه أو يصدقـه فاذا لم يكـن الداعى الى الله عز وجل صادقـا استنكر من يدعوهم الى الايمان دعوتـه ونفروا منه وابتعدوا عنه وقابلـوا كـل ما يدعوهم اليـه بالسخرية والاستهزاء وعدم الثقـة بما يقول .

لذلك نجد يوسف عليه السلام قد وصـف بالصديق حين قال له ساقـى الملك : " يوسف أيها الصـديق " وقـول امرأة العزيز " الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسي وانه لمن الصـادقين "(٢)

وقد بـين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الصدق مفتاح الصديقـين وجدواهم (٣) . وقال الامام مسلم : حدثنا زهير بن حرب وعثمان بن أبى شيبـة

---

(١) سورة الاحزاب : آية (٢٤) .
(٢) سورة يوسف : الآيتان (٤٦ ، ٥١) .
(٣) مدارج السالكين - بين منازل اياك نعبد واياك نستعين للامام أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية جـ ٢ ص ٢٨٤ - الطبعـة الاولى ١٤٠٣-١٩٨٣م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

وإسحاق بن إبراهيم قال إسحاق أخبرنا وقال الآخران حدثنا جرير من منصور من أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الصدق يهدى إلى البر وان البر يهدى إلى الجنة . وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وان الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب كذابا" (١)

فالصدق هو طمأنينة القلب يطمئن به صاحبه الى كل ما يقوم به من الأعمال الروحية أو الأعمال التى تتطلبها الحياة ويجعله محبوبا ومقربا الى الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه فهو صادق مع ربه لأنه معه فى كل حركاته وسكناته فى صلاته وصيامه وفى حجه وجهاده ، وفى الأعمال الخيرية جميعا ، وصادق مع أهله ووطنه ومجتمعه . وبذلك يكون قد وصل الى الغاية المطلوبة لتحقيق نجاح دعوته واكتساب قلوب جميع من حوله بصدق واخلاص فيصل بهم إلى مرتبة العز والشرف باعتناق العقيدة الصحيحة والايمان بها والوقوف على حقيقة خلقهم وانشائهم وخلق هذا الكون الدال على قدرة الله تعالى ومعجزته فى خلقه وأنه خلق الناس لعبادته وحده وبين أن العبد لا ينفعه يوم القيامة ولا ينجيه من عذابه الأليم إلا صدقه وإخلاصه لربه ،فالصديق يكون مع الأبرار المتقين الذين ينفعهم صدقهم فأدخلوا الى جنات النعيم خالدين فيها أبدا كما قال تعالى : "" قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ،رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم" (٢)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم النميمة - جـ ٦ - ص ١٥٩ .

(٢) سورة المائدة : آية (١١٩) .

والصدق على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى :

صدق القصد : وهو كمال العزم وقوة الإرادة بأن يكون في القلب داعية صادقة الى السلوك وحبل شديد الى صحة التوجه دون رياء أو فتور، لا يصح الدخول في شأن السفر الى الله ، والاستعداد للقائه الا به .

الدرجة الثانية :

أن لا يتمنى الحياة إلا للحق ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان ، ولا يلتفت الى ترفيه الرخص ،أى لا يجب أن يعيش إلا ليشبع من رضى محبوبه ، ويقوم بعبوديته ويستكثر من الأسباب التي تقربه إليه وتدنيه منه .

الدرجة الثالثة :

الصدق : فإن الصدق لا يستقيم في علم أهل الخصوص إلا على حرف واحد وهو أن يتفق رضى الحق بعمل العبد أو ماله أو وقته وايقان العبد وقصده .

فإذا كان الانسان صادقا مع الله عز وجل في جميع ما يقوم به من الأعمال رضى الله عز وجل عنه ومن أعماله وكان داعي صدق وحق . (١)

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزى ـ درجات الصدق ، جـ ٢ صـ ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

٤ - الأمانـــة :

فالامانة هي الصفـة المتممـة للصدق لأنهما شيء واحد لا ينفكـان فإذا كان المؤمـن صادقا كان أمينا واذا كان أمينا كان صادقا فهي الوديعـة التي أودعها الله في الانسان منذ أن خلقه وألزمه بحفظها وأدائها كاملـة في جميع الحقوق والواجبات التي كلف بها باعتباره خليفة الله في الأرض ، استخلفه فيها لتعميرها وحفظها من الضـياع طمعا في الأجر والثواب وخوفـا من العذاب والعقاب. فالله عز وجل أول ما أنزل الأمانة عرضها على السمـوات والأرض والجبال لحملها وحفظها ولكن لعظم ما يترتب عليها من الإثم والعذاب إذا لم تؤد على الوجه المطلوب أبين حملها وخفن منها فحملها الانســان فكان ظلوما جهولا بكيفية أدائها والقدرة على حفظها والقيام بإدائها قال تعالى : " إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهـولا " (١)

فالأمانة من الواجبات التي جاء بها منهج الاسلام وألزم الفرد المسلـم بأدائها والاخلاص فيها فإن استهان بها وبأدائها شاع الفساد في كيان الأمـة الاسلامية وأصيبت في دينها وعقيدتها وتعرضت البلاد للهلاك والدمار ولا يحدث ذلك إلا اذا مات الضمير الانساني وفقدت الأمانة من جميع الأمور التي أمر اللـه عز وجـل أن تؤدى الأمانة فيها سواء كانت في الطاعات والفرائض أو في المعاملات والودائع لأن الأمانة أول ما نزلت من السماء في صدور الرجال كما جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به البخاري : قال حدثنـــا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال سألت الاعمش فقال عن زيد بن وهب سمعت

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٧٢) .

حذيفة يقول حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأمانة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال ونزل القرآن فقرءوا القرآن وعلموا من السنة . (١)

(فالأمانة تشمل جميع أعمال الدين فهي فضيلة ضخمة لا يستطيع حملها الرجال المهازيل وقد ضرب الله المثل بضخامتها فأبان أنها تثقل كاهل الوجود كله فلا ينبغي للانسان أن يستهين بها أو يفرط في حقها) (٢) ليكون داعيا الى الله وسراجا منيرا يضيء للناس الحق ويهديهم الى سواء السبيل بتحمل هذه المسئولية الدينية العظيمة أمام الله ثم أمام الناس أجمعين اقتداء بالرسل الكرام كيوسف الصديق عليه السلام الذي لم يرشح نفسه لادارة خزائن مصر الا لصدقه وأمانته وعلمه الذي اختصه الله تعالى به . فقال : " قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" (٣)

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام - باب الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى " واجعلنا للمتقين إماما" ج ٨ ص ١٣٩ .

(٢) خلق المسلم للغزالي ،ص ٤٩ .

(٣) سورة يوسف : آية (٥٥) .

جـ - قوة معرفته بالدعوة :

العلم هو السلاح الذى يحمل فى طياته سعادة الناس وهدايتهم الى خير الدنيا والآخرة لذلك كان من أهم الصفات التى يجب أن يتسلح بها داعى الله ليكون ذا حكمة وبصيرة عند مواجهته للناس على اختلافهم فى اللغات واللهجات ليتمكن من التفاهم معهم وتوضيح معالم هذا الدين وما ألم به من الأحكام والتشريعات التى جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة لتصحيح عقائدهم التى لم يأت فيها حكم عبادة أو سلطان طاعة وتصحيح الصلة بينهم وبين ربهم ليؤدوا واجبهم نحوه تعالى كما أمرهم فى قوله تعالى: " وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة "(١)

قال ابن عباس فى تفسير الآية الكريمة " ما أمروا فى التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له "(٢) مخلصين له الدين لأنه عبارة عن كنيته الخالصة وتجريدها من شوائب الرياء مائلين من الأديان كلها الا دين الاسلام لأنه الملة المستقيمة والشريعة المقبولة .

والتفقه فى الكتاب والسنة ربيع القلوب ونور للبصر وجلاء للهم والحزن عند مواجهة الشدائد والمتاعب التى يواجهها من معارضى الدعوة وبهما يعرف كيف يخاطب الناس وكيف يرغبهم فى دينه فهما الصلة القائمة التى توجه المؤمن فى شئون حياته كلها ويقيما المجتمع والدولة على إتجاه مرسوم لا يمكن

---

(١) سورة البينة : آية (٥) .

(٢) تفسير الخازن ، جـ ٤ ، ص ٣٩٩ بتصرف .

الافلات منه كما أنهما روح مفعمة مليئة بالحق والنشاط والأمن واليقظة فمهمته العظمى أن يرمق الحياة بعين نافذة وبصيرة من حديد .[1] لا يبغى بها سوى مرضاته تعالى لأنها الرباط الروحي الذى يربط قلب الداعى المؤمن بالله وبحبه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد تمكن صلوات الله عليه وسلامه من التغلب على أعداء دعوته ومعارضتهم فى صبر وثبات سواء كان فى السر أو العلن بالحكمة البالغة ، والبصيرة النافذة التى أمر بها القرآن الكريم ليبين ويوضح معالم الطريق الذى يسلكه فى سبيل الدعوة الى الله تعالى " قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين "[2]

ونرى الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعتمدون فى دعوتهم الى الله على الدستور القرآنى والسنة المطهرة وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على مراقبتهم للوقوف على مدى فهمهم واستيعابهم للكتاب والسنة .
فلا يبعث أحدا منهم قبل أن يتأكد من مدى علمه وفهمه للمهمة التى كلف بها وذلك عندما بعث معاذ بن جبل الى اليمن يدعوا الناس الى دين الله تعالى فقد ورد فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم . قال الامام الترمذى : (حدثنا هناد حدثنا وكيع عن شعبة عن أبى عون عن الحارث بن عمرو عن رجال من أصحاب معاذ عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا الى اليمن فقال : كيف تقضى " ؟ فقال : أقضى بما فى كتاب الله قال فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله قال فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال أجتهد رأيي قال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله)[3]
لذا وجب على الداعى أن يوجه عمله لله الذى فطر السموات والأرض حنيفا مخلصا له الدين بروحانيته الطاهرة قائما على ذكره وطاعته والدعوة الى عبادته وحده دون سواه .

---

(١) مع الله - دراسات فى الدعوة والدعاة - محمد الغزالى ، ص ١٨٢ - الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - دار الكتب الاسلامية - القاهرة .
(٢) سورة يوسف : آية (١٠٨) .
(٣) سنن الترمذى - باب ما جاء فى القاضى كيف يقضى ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .

ثالثا : أهمية الأسلوب الواضح لتبليغ الدعوة :

(بدأ يوسف عليه السلام فى دعوته الى الله فى مصر باصلاح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة القائمة على إعطاء حق الربوبية والألوهية لأرباب متفرقة أطلقوا عليها أسماء لم ينزل الله بها من سلطان . فبدأ عليه السلام مع صاحبى السجن " من موضوعهما الذى يشغل بالهما فطمأنهما بأنه سيؤول لهما رؤياهما ليكسب ثقتهما منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤييهما كما يكسب ثقتهما وثقة من معهما فى السجن لدينه فقال لهم بأسلوب استفهامى مع حرصه الشديد على تجنب ما يجعلهم ينفرون ويعرضون عنه . ليلفت انتباههم الى ما هم عليه من الشرك والضلال بكياسة وحكمة) (١) (ياصاحبى السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . (٢)

فسألهم عليه السلام سؤالا واقعيا لا شراكهم معه فى الجواب هل الإله الواحد أحسن أم الأرباب المتفرقون ؟ . وهل هؤلاء المتفرقون متفقون على جلب النفع وتسيير الكون ومصالحه أم الإله الواحد هو النافع المتصرف وهو المتفرد بكل شئ ؟ إن الذى يستحق أن يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو هذا الإله الواحد المتفرد بكل شيء فلا يعقل أن يعرف الناس أن الله واحد وأنه هو القاهر ثم يدينون لغيره ويخضعون لأمره . فالعقلاء والأذكياء الذين يدركون ذلك لا يمكن أن يدينوا لغير الله . فالآلهة التى سميتموها أنتم وآباؤكم هل جاءكم بها كتاب مقدس ينص على تسميتها وعبادتها أووحي مرسل

---

(١) فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٤ ص ١٩٨٨ - ١٩٨٩ بتصرف .
(٢) سورة يوسف : آية (٤٠) .

من عند الله تعالى يأمركم بذلك (فهذه الأرباب التى تصنعونها وتطلقون عليها أسماء من عندكم لا تستطيع أن تملك البقاء لذاتها وسلطانها وتدمير جميع القوى والطاقات التى تهدد سلطانها) (١) "إن الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (٢) (فلا دين قيما سوى هذا الدين الذى يتحقق فيه اختصاص الله بالحكم تحقيقا لاختصاصه بالعبادة (٣)) وحده دون سائر العبادات . فكانت طريقته عليه السلام وأسلوبه فى اقناع الفتيين ومن معهما اعتناق هذا الدين واتباعه وترك جميع ما يعبد من دون الله تعالى .

كما كان أسلوبه عليه السلام فى إقناع الملك بأنه برئ مما نسب اليه وأنه حقا نبي مرسل من عند الله تعالى برفضه الخروج من السجن وعدم استعجاله فى تلبية طلبه رغم السنين الطويلة التى مرت به فى السجن عندما جاءه الرسول وأخبره بأن الملك أمر باحضاره إليه حتى يتبين الحق وتعلن براءته على الملأ كافة يقول تعالى : " قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم " (٤)

(لقد رد يوسف عليه السلام أمر الملك باستدعائه حتى يستوثق الملك من أمره وحتى يتحقق من شأن النسوة اللاتى قطعن أيديهن وحتى يكون هذا التحقق فى غيبته لتظهر الحقيقة خالصة دون أن يتدخل هو فى مناقشتها وتكون الشهادة صادقة على طهارته وبراءته وصدقه من قبل امرأة العزيز والنسوة أمام الملك وتزداد ثقته واطمئنانه به وحبه له حتى جعله يستخلصه لنفسه (٥)) كما

---

(١) فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٤ ص ١٩٨٩ . بتصرف .
(٢) سورة يوسف : آية (٤٠) .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٨٩ .
(٤) سورة يوسف : آية (٥٠) .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٩٩٥ .

حكى الله عز وجل ذلك بقوله : " وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين "(١) لقد أصبح عليه السلام ذا مكانة وأمانة عند الملك بعد أن تحقق من صدق ما توسمه فيه وعند ذلك قال للملك :
" اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم "(٢) . فكان عليه السلام حصيفا فى اختيار اللحظة التى يستجاب له فيها لينهض بالواجب الثقيل فى أشد أوقات الأزمة وهى سنين الجدب والقحط ولاكتساب ثقة الملك وشعبه والتلطف بهم (٣) حتى دخلوا فى شرعته ومنهاجه وآمنوا به كما ذكرت كتب التفسير.

ومن العبرة التى تستفاد من قصة يوسف عليه السلام إستعمال الأسلوب الأمثل للدعوة الى الله تعالى وتوضيح منهج الاسلام ومعانيه السامية وأنه دين البشرية كافة ومنهاجها الثابت الذى لا يتغير (فهو دين يبنى ولا يهدم ويجمع ولا يفرق ويضم من علامات الخير ما يصله بأهل الأرض من طريق المعايشة السليمة إن لم تكن من طريق الاقناع الحر) (٤) . لقوله تعالى : " قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين "(٥)

---

(١) سورة يوسف : آية (٥٤) .
(٢) سورة يوسف : آية (٥٥) .
(٣) فى ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٤ ص ٥٠٠٢ بتصرف .
(٤) مع الله - دراسات فى الدعوة والدعاة - محمد الغزالى ، ص ٢٦ .
(٥) سورة يوسف : آية (١٠٨) .

رابعا : الاستفادة من الظروف المناسبة :

تحتاج الدعوة الى الله تعالى يقظة كاملة من الدعاة ، وعليهم أن يتحينوا الظروف المناسبة لتبليغ دعوتهم لأن ذلك أدعى للاجابة ، وأسرع فى التبليغ . ولهم فى ذلك أسوة بقصة يوسف عليه السلام . فلقد كان عليه السلام يدعو الى الله تعالى ويعرض قضاياه فى أوقات تناسب قضيته ودعوته . ولذلك كان السمع ، وكانت الاستجابة . ومن ذلك ما نراه حين دخل السجن مع الفتيين فهو عليه السلام لم يبادر بعرض الدعوة عليهما . وانما تحين فرصة مواتية وهى أنهما عرضا عليه رؤياهما . فبين لهما أن الله الواحد هو الذى علمه تأويل الرؤيا وأخذ يعرفهما بالله ووجوب توحيده والاخلاص له وحده سبحانه وتعالى . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : " قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون " (١)

وذلك درس يجب أن يتبعه الدعاة .

فالداعى الى الله هو المؤمن الحق الذى يقوم بواجبه نحو دينه وعقيدته بكل إخلاص وجد باذلا فى ذلك قصارى جهده فى نشر الدعوة وتوصيلها إلى مسامع الذين غفلوا عن ربهم الحق ، فعندما تتاح الفرص أمامه فعليه أن يسلك السبيل السوى فى دعوته كى يستطيع الوصول الى قلوب من يدعوهم بالاتعاظ والتذكير امتثالا لقوله تعالى : " فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى " (٢) وقوله تعالى : " وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين " (٣)

---

(١) سورة يوسف : آية (٣٧) .
(٢) سورة الأعلى : آية (٩ - ١٠) .
(٣) سورة الذاريات : آية (٥٥) .

ففى الآيــة الأولى يأمر الرسول صلى اللـه عليه وسلم أن يعظ بالقــرآن مدة نفع الموعظــة والتذكير ، أو المعنى عظ أنت وذكر إن نفعت الذكــرى ، أو لم تنفع إنما عليك البلاغ وسيتعظ من يخشى الله تعالى) (١) .

وقيل معناه عــظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم)

وأن يتحين الغرض للدعوة فالمفاتيح التى يمكن بها لفت الناس الــــى الاسلام لاقناعهم كثيرة ومتعددة فقد يكون مفتاح ذلك حلا يقدمه الداعيــــة لمشكلة معينة أو خدمة أو قضية) (٢) فيعلق حلها على مدى استجابتهم لمــا يدعوهم اليه كما فعل يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن إذ قال: قال تعالى : " قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمـــنى ربى " (٣)

أو موقفا يقفه الداعى إلى الدين يكون مفتاحا لتلقى الدعوة الى اللــــه ويلاقى صدى كبيرا فى نفوس أصحابه .

فموقف يوسف عليه السلام مع الملك الريان كان مفتاحا لدخوله وأتباعــــه فى دين الله تعالى وترك ما كان عليه من عبادة الأرباب المتفرقة وكان فـــى أسلوب دعوته وحسن سياسته أعظم الأثر على تشويق نفوس تلك الفئة الى حب الله عز وجل والاخلاص لله فى رفق ولين .

فالداعى الى الله فى يسر وسهولة هو الذى يكسب ثقة الناس الذيــن يعيش معهم (فلا يخشى عرفا سائدا أو تقاليد مقررة) (٤) .

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل للامام علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى ، جـ ٤ ، ص ٣٧٠ .

(٢) كيف ندعو الى الاسلام - فتحى يكن - ص ٢٩ - الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٣) سورة يوسف عليه السلام : آية (٣٧) .

(٤) مع الله ، دراسات فى الدعوة والدعاة ، محمد الغزالى ، ص ٨١ .

وعليه أن يتصف بالعفو ويتحين الظروف المناسبة التى تمكنه من الوصول اليهم وليس عليه أن يندفع الى ما يؤدى الى التناقض والتعارض مع المدعوين لأن ذلك متناقض مع المنهج الربانى الكامل الذى يدعو اليه ويتناقض مع العلم السليم الذى يتسلح به لرفع مستواهم الدينى والعقائدى والذى فيه صلاح نفوسهم وخيرها .

لقوله تعالى : " واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين "(١)

والمعنى : اذا رأيت يا محمد الذين يخوضون فى آيات الله (بالتكذيب والاستهزاء (فأعرض عنهم) حتى يأخذوا فى كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير موضعها فان جلس أحد منهم ناسيا (فلا تقعد بعد الذكر) بعد التذكر "(٢)

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم وكان يستغل الظروف المناسبة فى الدعوة وكان أول ما بدأ بالدعوة الى الله تعالى سرا ، وكان يعرضها على كل من يلقاه فلا ييتئس بسبب صد أو اعراض عنها من قبل قومه وكان يقصد مواسم تجمع الناس ويعرض عليهم الدعوة حتى آمن به جمع كثير من الناس سواء أكان عن طريق الدعوة سرا أو جهرا ، وسواء أكان ذلك من طريق إرسال الرسائل وبعث الوفود الى الدول المختلفة والاتصال بالمجتمعات الأخرى) .

---

(١) سورة الأنعام : آية (٦٨) .
(٢) تفسير القرآن العظيم - جـ ٢ ص ١٤٢ .

وكان عليه الصلاة والسلام اذا جاء اليه أحد يسأله عن العقيدة يستغيد من تلك الفرص ويدعوهم الى الايمان بأسلوب مهذب ،وقد روى ابن ماجة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حدثنا أبو مروان محمد بن عثمان العثمانى حدثنا ابراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز العامرى ، أن سفيان بن عبد الله الثقفى قال : قلت يا رسول الله ! حدثنى بأمر أعتصم به ،قال : " قل ربى الله ثم استقم " قلت : يا رسول الله ما أكثر ما تخاف على ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه ثم قال : " هذا "(١) وفى حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما روى الامام مسلم عنه قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب قالا حدثنا ابن نمير ح - وحدثنا قتيبة عن سعيد واسحاق بن ابراهيم جميعا عن جرير ح - وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة كلهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك وفى حديث أبى أسامة غيرك قال : " قل آمنت بالله فاستقم "(٢)

---

(١) سنن ابن ماجه - الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه كتاب الفتن - الحديث رقم ٣٥٧٢ جـ ٢ ص ١٣١٤ . دار احياء التراث العربى .

(٢) صحيح مسلم - بشرح النووى - باب بيان تفاضل الاسلام ،ج ٢ ،ص ٩/٨

المبحث الرابع

تنظيم الحياة والتخطيط للمستقبل

المبحث الرابـــع
تنظيم الحياة والتخطيط للمستقبـــل

أ - تنظيم الحيـاة :

الأعمال التى قام بها يوسف عليه السلام حيال المستقبل الذى كان ينتظر أهل مصر وما جاورها من الأمصار أفاد القوم حيث خططوا لذلك وفق منهج حكيم يربط يومهم بغدهم ، واستعدوا لمستقبل الأيـــام في حدود الخطة التى وضعها يوسف عليه الســـلام .

والآيات التى بينت ذلك التخطيط نزل بها الروح الأميـن أعجزت وأبطلت كل سحر مستقر في ذلك العصر الملئ بالكهنة واعتمدت على روءية صحيحة للمستقبل على ضوء تاويل يوسف عليه السلام لــروءيا الملك يقول الله تعالى مشيرا الى هذا **التصور** :

" قال تزروعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبلـه إلا قليلا مما تاكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلــن مـا ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون " . (١)

وكان أسلوبه العظيم مليئا بالتحذير والانذار عن ســوء العاقبة والمصير اللذين ينتظرانهم في ظل المدنية المادية الخالية مــن عالم الروح والايمان . (٢)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام . الآيتيــن ٤٧ ، ٤٨

(٢) في ظلال القران سيد قــطب حـ ٤ ص

فالسنين المخصبة التى تدخرون فيها ما تزرعون سيأتى عليها سنون مجدبة تهلك الزرع والحرث ، والمطلوب منكم الحيطة والحذر لهذه السبع الشداد المجدبة .

(فالجملة خبر لفظا أمر معنى اخرج على صورة الخبر مبالغه في إيجاب إيجاده كأنه وقع وأُخبر عنه ، وإنما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان) . (١)

فمعالجته عليه السلام للأمر بحكمة وصواب ليعرفوا مدى قدرة خالقهم الذى جعل هذه الرؤيا صادقة وجعل النظم القرآنى العظيم مفسرا لما كان وما هو كائن وما سيكون لهم ، في المراحل الثلاث التى هى خصب فجدب ثم بعد ذلك فيض رحماني يفيض عليهم من السماء فيرفع عنهم البلاء ويمحى لحظة الشقاء فيه يغاث الناس وفيه يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا ، وقد أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب والزرع والثمار (٢) لعلهم يتعظون ويعتبرون فيعودون الى الصواب ويعتنقون دين الحق دين الواحد القهار .

---

(١) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني العلامه أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى ، حـ ٤ ص ٢٥٤ ، جديده مصححة ومنقحة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ، دار الفكر بيروت .

(٢) تفسير الخازن حـ ٣ ص ٢٣ .

قال تعالى : " ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون " . (١)

ومن هذا المنهج خطط يوسف عليه السلام لإخوته عندما قدموا إلى مصر للميرة لاحضار أخيه بنيامين وتلقينهم درسا فيما فرطوا فيه من قبل وكيفية الاخلاص والوفاء بالموثق الذى أخذوه على أنفسهم .

فهو عظيم في كل شيء في حيلته التى يجريها توصلاً لمرامه فذكر ، وبشر وأنذر ، وحذر ثم أرجع اليهم بضائعهم تشويقا لهم في رجوعهم به اليه . (٢) كى يبقيه بجانبه وهو الكيد الذى دبره لهم من فالق الحب والنوى .

قال تعالى : " ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ، فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون ." (٣)

(فلم يقل عليه السلام بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم كأنه لا يريد أن يبين من هو ولو أضافه اقتضى معرفته لاشعار الإضافة) .(٤)

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آية ٤٩ .
(٢) مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام جـ ٢ ص ١٠٢١ .
(٣) سورة يوسف الآيتان ٥٩ ، ٦٠ .
(٤) روح المعانى المجلد الخامس الجزء الثالث عشر ص ٨ .

فترك عليه السلام تعريفهم عليه حسب الأحداث التى ستجمعه بهم مرة ثانية كى يتعرفوا عليه في نهاية المطاف ويقفوا على مدى إمتنان الله عليه وأخيه بنيامين . نتيجة التقوى والصبر الذين يورثان الجزاء والحسنى في الدنيا والآخرة وذلك عندما قال لهم بلسان الحق الموحى إليه بقوله :

" قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا أءنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين " . (١)

فالذين يحسنون صنعا لسريان حياتهم الروحية والدنيوية ويسيرون وفق ما أراد الله لهم من الخير يكون لهم الفوز والظفر بمن يريدون لقاءهم ويرجون رضاهم كي تقر أعينهم وتطمئن قلوبهم بمن طال فراقهم وحجب الدمع والخوف نور بصرهم وحياتهم عند إدراكهم الحقيقى ليوسف عليه السلام الذى سار على خطة الهية في التخطيط للقاء والده يعقوب عليه السلام . بارسال القميص مع إخوته والامر بالقائه على وجه أبيه كي يرتد بصيرا عندما يجد ريحه عليه سواء كان إيجادا حسيا أو إيجادا معنويا نظيرا لايجاد أنس بن النضر رضي الله عنه يوم أحد لما قال : (واها لريح الجنة ، أجده دون أحد) (٢)

---

(١) سورة يوسف جآيه ٨٩ - ٩٠ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، باب ثبوت الجنة للشهيد المجلد السابع حـ ١٣ ص ٤٨ .
واهـا : كلمة تحنن وتلهف .

فالادراك نوعان :-

١ - إدراك بالحس .

٢ - إدراك بالبصيرة .

فالادراك الحسي وقوعه على نفس المحسوس أو مثاله الخارجي كرؤية وجه الانسان .

وأما الادراك بالبصيرة : فوقوع القوة العاقلة على تصوره للمعقول ، فيكون إدراكه له بمنزلة إدراك العين مثلا للصورة الخارجيه

فلامانع من أن المقصود من كلام يعقوب عليه السلام ، أنه أدرك بقلبه إلهاما رائحة يوسف عليه السلام ، ويقصد من ذلك الرائحة والأثر . (١)

قال تعالى :

" إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني باهلكم أجمعين ، ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون . " (٢)

---

(١) موءتمرتفسير سورة يوسفعليه السلام حـ ٢ ، ص ١٢٨٩ - ١٢٩٠

(٢) سورة يوسف الآيتان ٩٣ ، ٩٤

وقوله تعالى :

" فلما أن جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالا تعلمون ". (١)

وقد قال المحققون علم يوسف أن القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحي من الله. (٢)

وتتحقق أمنية يوسف بعودة أبويه وأهله إليه ، ويعلم إخوته أن الذى أصابه من العز والكرم إنما بتدبير العلى القدير الذى جعل عاقبة أمره يسرا إذ رفع أبويه على عرش مصر وخروا له سجدا إجلالا وتقديرا له فكان الجزاء من نفس العمل " ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا قال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ". (٣)

ومن قصة يوسف عليه السلام نستطيع أن نأخذ درسا فى أهمية التخطيط للمستقبل .

---

(١) سورة يوسف الآيه ٩٦ .

(٢) تفسير الخازن حـ ٣ ص ٤١ .

(٣) سورة يوسف آيه رقم ١٠٠ .

ب - الادخار وعدم الاسراف :

نرى في كثير من الآيات القرآنية الحث على الإدخار وعدم الإسراف وأن الحق سبحانه وتعالى يمقت المسرفين والمبذرين وينسب أخوتهم إلى الشياطين - على أن المبذرين قرناء للشياطين .

قال تعالى : " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين " (١) وفى هذا نص صريح بأن الترف والبذخ لا يصدر من الانسان المؤمن الحق الغيور على التمسك بتنفيذ أوامر الله ونواهيه فلا يغل يده كل الغل ولا يبسطها كل البسط فيقعد ملوما محسورا ، بل يكون وسطا بين الانفاق والادخار تلبية لقوله تعالى : " يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . " (٢)

والآية لم تقتصر على الأكل والشرب والنهى عن الاسراف بل اشتملت على معالم الزينة والتجمل لمواراة العورة عند الطواف أو الصلاة

ومن السنه أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وقد روى أن بنى عامر كانوا في أيام حجهم لا ياكلون الطعام إلا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون بمثله ونهاهم عن تحريم الحلال أو التعدى إلى الحرام أو الافراط في الطعام والشره عليه . (٣)

---

(١) سورة الاسراء آيه ٢٧ .
(٢) سورة الاعراف آيه ٣١ .
(٣) تفسير الخازن حـ ٢ ص ٨٤ بتصرف .

وقال علي بن الحسن : قد جمع الله الطب في نصف آية فقال :

" كلوا وأشربوا ولا تسرفوا " (١)

فالله عزو وجل لا يرضى عن المبذرين لذلك كان تحريم الاكل في آنية الذهب والفضة وتحريم لبس الذهب والحرير على الرجال إتقاء من الوقوع في التبذير والتفريط المنهى عنهما ردعا للنفس الامارة بالسوء وتعويدها على الإعتدال في كل امر من أمور الحياة الكريمة .

فالكيس الحصيف هو الذى يأكل واهله من طيبات ما أحل الله لانه تعالى يحب أن يرى نعمه سابغة على عبده وأن يكون عبدا شكورا على إسباغها عليه (فهى حق للذين أمنوا وبحكم إيمانهم بربهم الذى اخرجها لهم ، (فهى خالصة لهم يوم القيامة لا يشاركهم فيها المشركون) (٢)

قال تعالى : " قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامه كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون " . (٣)

---

(١) تفسير الخازن حـ ٢ ص ٨٤

(٢) تفسير الخازن حـ ٢ ص ٨٤

(٣) سورة الاعراف آيه ٣٢

جـ - تزكية النفس :

إن صلة المؤمن بربه صلة قائمة على تحقيق العبودية له وحده وتطبيقا لقوانينه وأنظمته الدالة على توحيده وتفرده بالعبادة ، لذا كان لزاما على الإنسان أن يخصص قدرا يتلاءم مع قدراته الروحية لعبادته تعالى والتقرب اليه بالنوافل والصدقات لأنه تعالى فرض فرائض على عباده وكلفهم بالقيام بها ليزدادوا قربا واحسانا فالصلاة هى الركن الثاني من الاسلام وعموده الذى تقوم عليه ركائزه المفروضة من جهاد وصدقة وزكاة وعمل صالح ، وهى مفتاح الجنة وكفارة للذنوب في اليوم والليلة التى يقع في خطئها العبد دون الكبائر.

وقد جاءت آيات كثيرة يأمر الله عزو جل فيها بالصلاة قائلا:

" أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون" (١)

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئاً قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا . (٢)

---

(١) سورة العنكبوت آيه ٤٥ .
(٢) صحيح البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة حـ ١ ص ١٣٤ .

وجعل الصيام فريضة على كل مسلم ومسلمة يؤديه الانسان شهرا كاملا في السنة وجعل هذا الشهر مباركا فيه أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ليلة القدر التى هى خير من الف شهر وجعله كفارة لما قبله من الخطايا والاثام التى يرتكبها الانسان طوال السنة . وقد كان الصيام مفروضا على من قبلنا من الأمم السابقة قبل الاسلام وفي ذلك يقول تعالى : " ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " . (١)

وقوله تعالى : " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون " (٢)

ففي الصيام تربية وترويض للنفس المؤمنة على الصبر والثبات على الايمان ، فالصائم يجوع ويكون أمامه الطعام ، ويعطش ويكون أمامه الشراب ولكنه يعرض عن ذلك كله برادع الخوف والخشية من الله عز وجل ويرادع الطمع في ثواب الله الذى جعل هذا الصوم من خصوصياته (٣) تعالى وهو الذى يجزل الأجر والثواب لفاعله أو القائم به .

---

(١) سورة البقرة آيه ١٨٣
(٢) سورة البقرة آيه ١٨٥
(٣) المرجع العباده في الاسلام ص ٢٧٨ بتصرف .

كما فرض في هذا الشهر زكاة الفطر وجعلها مقررة علـــى الأغنياء يأخذونها من أموالهم لتعود على فقرائهم تطهيرا وتزكيـــة لهم ولأموالهم لتربوا حسناتهم وتغلب كفة هذه الحسنات في الميـزان المشهود يوم القيامة على كفة سيئاتهم .

قال تعالى : " خذ من اموالهم صدقة تطهرهـــم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم " . (١)

والحج أحد أركان الاسلام وآخرها جعل أداءه للمستطيع من عباده المؤمنين فمن كان مستطيعا أداه ومن لم يستطع سقط عنـــه اداءه وهو بمثابة المؤتمر الذى يفد اليه الناس من كل فج عميق تتساوى فيه الرؤوس ، وتتفاوت فيه النفوس بالصلاح والتقوى الناس فيه كأسنـــان المشط لا فرق بين عربي ولا عجمي ولا بين أبيض ولا أسود إلا بالتقوى .

قال تعالى فى فرضيته :

" إن اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ولله علـــى الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن اللـــه غنى عن العالمين " (٢)

---

(١) ســورة التوبه آيه ١٠٣

(٢) سورة ال عمران آيه ٩٦ - ٩٧ .

فالله عز وجل قسم حياة الانسان تقسيما منظما وربطهـــا بالامكنة ليتعود النظام ويستفيد به في حياته ، بل ان أداء العبادات والفرائض يعد تخطيطا مفيدا يعود بالنفع على من يؤديها فـــي الدنيا والآخرة فلا يصرف كل همه في عالم الروح يقوم الليل ويصـــوم النهار ويلبس الخشن ويأكل القليل ويعتزل في صومعته بعيدا عـــن الناس متخليا عن القيام بمواجباتهم وقضاء حاجاتهم فهو إنســـان مفتقر إلى معرفة المنهج القويم والطريق المستقيم لا يحيف عنـــه)[١] لقوله تعالى : "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبـك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسـدين " . (٢)

---

(١) تذكرة الدعاة للبهي الخولي صـ ١٦٧ .

(٢) سورة القصص آيه ٧٧ .

المبحث السادس

استعمال الحكمة في تحقيق الهدف

استعمال الحكمة في تحقيق الهدف

الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الاشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم :

والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم .

وقال الجوهري : الحكيم الحكمة من العلم .
والحكيم العالم وصاحب الحكمة .
وقيل الحكم العلم والفقه . (١)

قال تعالى : " وآتيناه الحكم صبيا ". (٢)

اى علما وفقها .

وقال الامام الرازى في تفسير الحكم والعلم أقوال :

الأول : إن الحكم والحكمة أصلهما حبس النفس عن هواها ومنعها مما يشينها .

فالمراد من الحكم الحكمة العملية .
والمراد من العلم الحكمة النظرية .

---

(١) لسان العرب للامام العلامة ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى جـ ١٢ حرف الميم ص ١٤٠ - الطبعة الاولى - دار صادر بيروت .

(٢) سورة مريم آيه رقم ١٢ .

وانما قدم الحكمة العملية هنا على العلمية لان أصحاب الرياضيات يشتغلون بالحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية .

وأما اصحاب الافكار العقلية والأنظار الروحانية فانهم يصلون إلى الحكمة النظرية اولا ثم ينزلون منها إلى الحكمة العملية .

وطريقة يوسف عليه السلام هو الاول لانه صبر على البلاء والمحنة ففتح الله عليه أبواب رحمته فلهذا السبب قال آتيناه حكما وعلما . (١)

القول الثاني :

الحكم هو النبوة لأن النبي يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين .

القول الثالث :

يحتمل أن يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها .

وقال الإمام الخازن في تفسير معنى " حكما :

---

(١) التفسير الكبير تفسير فخرالدين الرازي حـ ٥ ص ١١٥

قد آتى الله تعالى يوسف بعد بلوغ الأشد نبوة وفقها في الدين .

وقيل : حكما يعني إصابة في القول وعلما بتاويل الرؤيا .

وقيل : الفرق بين الحكيم والعالم أن العالم هو الذى يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذى يعمل بما يوجبه العلم .

وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظرى . (١)

والرأى الصحيح ما أجمع عليه العلماء .

فالله عز وجل آتى يوسف عليه السلام الحكم والعلم فكانت حكمته النظرية في عدد من المواقف هي :

١- تعبيره رؤيا الساقي والخباز بعد أن عرض عليهما الايمان بالله تعالى ونبذ عبادة الاوثان .

قال تعالى : " يا صاحبي السجن أما أحد كما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ". (٢)

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل حـ ٣ ص ١١

(٢) سورة يوسف عليه السلام آيه رقم ٤١ .

٢ - تعبيره عن روءيا الملك واكتساب ثقته ومن معه من اهل مصره

قال تعالى : " قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تاكلون ، ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون "(١) .

وكانت حكمته العملية عديدة أيضا ومنها :-

١- إدارته لخزائن مصر وتوزيع الطعام على أهل مصر وما جاورهم في سني الجدب والقحط، ذلك انه عليه السلام لما دعاه الملك وهو في السجن قال له : اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " (٢) اى اعلم بعلم من الله تعالى وتقديره الذى خصني به . ثم شرع عليه السلام في إعداد العدة لاستقبال :

أولا : السنين المخصبة فاول أمر بدأ به هو :

١ - أمره عليه السلام أهل مصر باصلاح المزارع والتوسع في الزراعة .

---

(١) سورة يوسف عليه السلام آيه رقم ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) الجامع لاحكام القران للقرطبى حـ ٩ ص ٣١٨ .

٢ - لما ادركت الغلة امر بها فجمعت ثم بنى لها الاهراء فجمعت فيها في تلك السنة غلة ضاقتعنها المخازن لكثرتها ثم جمع عليها غلة كل سنة كذلك حتى إذا انقضت السبع السنين المخصبة وجاءت السنون المجدبة(١) كانت اول خطوة للبيع هي :

أ - انه عليه السلام باعهم بالنقود في السنه الاولى .

ب - انه عليه السلام باعهم بالحلى والجواهر فى السنه الثانية .

جـ - أنه عليه السلام باعهم بالمواشى والدواب فى السنة الثالثة .

د - انه عليه السلام باعهم بالعبيد والإماء في السنة الرابعة .

هـ - انه عليه السلام باعهم بالعقار والضياع فى السنة الخامسة .

و - انه عليه السلام باعهم باولادهم ونسائهم في السنة السادسة .

ز - انه عليه السلام باعهم برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد إلا صار عبدا له ثم بعد ذلك اعتقهم جميعا " .(٢)

وقيل : كان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه فيعطيهم من الطعام على عدد رؤسهم

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي حـ ٩ ص ٢١٨ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى حـ ٩ ص ٢١٩ .

لكل رأس وسقا شريطة أن يستنوا بسنته عليه السلام (١) ولذلك إستطاع عليه السلام أن يسوس أمور أهل مصر ويديرها معاملا في ذلك كله جميع من جاءه طلبا للميرة سواء من داخل مصر أو خارجها بما فيهم إخوته اللذين اكرمهم وأحسن منزلتهم دون أن يفرق بينهم وبين عامة الشعب أو يميزهم عنهم في العطاء والمنحة واعترافه لهم بمن الله تعالى عليه في نهاية المطاف بالنعمة مقابل إتقائه الله في جميع محنه التى مر بها وصبره على المصائب وعن المعاصي) بقوله : " انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين (٢)"

٢ - رفضه تزويد إخوته بالزاد حتى يحضروا أخاهم بنيامين إليه : " قال تعالى : " ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم الا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين . فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون . " (٣)

٣ - دسه السواع في رحل أخيه للمحافظة على إبقائه معه

قال تعالى : فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن موءذن أيتها العير إنكم لسارقون" (٤)

---

(١) تفسير القرطبى حـ ٩ ص ٢٢٠

(٢) سورة يوسف عليه السلام آيه ٩٠

(٣) سورة يوسف عليه السلام آيه رقم ٥٩ ، ٦٠

(٤) سورة يوسف عليه السلام آيه رقم ٧٠

٤ - إرساله القميص إلى والده يعقوب عليه السلام كي يرتد بصره
قال تعالى : " إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين " (١)

٥ - إحضاره والديه الى مصر ورفعهما على العرش وسجود أبويه وإخوته له تحقيقا لرؤياه التي رآها من قبل .

قال تعالى : " ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم " (٢)

وكل تلك الأعمال تشير الى أن يوسف عليه السلام إستعمل التدبير العقلي والحكمة العملية في الوصول الى الأهداف التي أرادها الله تعالى .

وفي ذلك عبرة وعظة .

وحينما ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن أعماله جميعا كانت ذات حكمة وصواب في الدين والعمل قبل البعثة ومن ذلك :

حسمه الخلاف بين قريش عندما أعادوا بناء الكعبة أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود إختصموا فيه فقالوا الحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من

---

(١) سورة يوسف عليه السلام ، آية رقم (٩٣)
(٢) سورة يوسف عليه السلام آيه رقم (١٠٠) .

خرج عليهم فقضى بينهم بأن يجعلوه فى مرط ثم ترفعه جميع القبائل كلهم . (١)

وفى قصة إسلام أبى سفيان عند ما حضر مع العباس يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟ قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم تعلم أنى رسول الله قال قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه. فإن في النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال العباس ويحك أسلم فاشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك فقال تشهد شهادة الحق فاسلم قال العباس قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . (٢)

وحينما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن " بمحجن" في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة

---

(١) السيرة النبويه للامام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى . حـ١ ، ص١٩٧ ، دار الكنوز الادبية .

(٢) السيرة النبويه لابن هشام حـ ٣ ، ص ٤٠٣ .

ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد (استكف) له الناس في المسجد فقام على باب الكعبة فقال " لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل " مأثرة " أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا " سدانة البيت " وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها في بطونها أولادها يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " (١)

ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم ؟

قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء (٢)

فهذه النماذج من أفعال الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه كان لها أعظم الأثر لتحقيق ما يصبوا اليه الانسان في دينه ودنياه ليكون النصر حليفه والفوز بقلوب من يعيش بينهم عارفا مهمته .

ووظيفته من الوعظ والارشاد داعيا الى الله وهاديا الى سبيل الرشاد للاستقامة في جميع أمور حياتهم ليكونوا جميعا على جانب عظيم من العلم والعمل والتقوى والورع يشيدون صرح بلادهم ويعيدون مجد آبائهم ويسيرون على هدى علمائهم وورثة أنبيائهم الذين أوتوا الحكمة على هدى من

---

(١) سورة الحجرات آيه رقم (١٣) ٠
(٢) السيره النبويه لابن هشام ، القسم الثاني حـ ٤ ص ٤١١ - ٤١٢ ٠

الله تعالى فحصدوا خيرا في دينهم ودنياهم حتى قال تعالى فيهم:
" يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذّكر الا أولوا الألباب " (١)

فهذه الحكمة يؤتيها الله من يشاء من عباده لمن أراد الهداية وسعى لها سعيا وجاهد فيها فان الله لا يحرمه منها بل يعينه عليها ليطمئن كل من يتجه الى هدى الله .

" إن مشيئة الله ستقسم له الهدى وتؤتيه الحكمة وتمنحه ذلك الخير الكثير " (٢)

ولكي يصل الانسان الى غايته في تحقيق هدفه لابد له من الوصول الى النتائج السليمة لخدمة هذه الأمة وبنائها على أسس عمارة الأرض وصلاحها وعمارة النفوس وطهارتها فلا يرى منكرا إلا نهى عنه ولا يرى إعوجاجا إلا قومه ولا وجد فرصة لاستمالة القلوب الى عقيدة التوحيد إلا دعى اليها ونفذ الى أعماقها بحكمة صائبة وامر سديد

فلا يزعزعه جحود أو إعراض لأن هدفه في هذه الحياة أساسه العمل الصالح والخلق الفاضل لا للسيطرة ونفوذ السلطان .

فهو ممن جندوا أنفسهم لخدمة هذه الرسالة مبشرين ومنذرين

---

(١) سورة البقرة آيه (٢٦٩)
(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب حـ ١ ص ٣١٢ - ٣١٣

أمناء ناصحين لا يبغون من قياداتهم وأعمالهم سوى إرضائهم ربهم واسعادهم لشعوبهم ونأى بمن تولى أمرهم عن الخيانة والفساد واعطاهم الامن والثقة فى ذاتهم فتكون له مكانة قوية ومنزلة عظيمة تأسيا بيوسف عليه السلام صاحب المكانة والمنزلة الذى لم يضيع الله أجر عمله بقوله " ولا نضيع أجر المحسنين " .

فمن أحسن الى ربه وخالقه فى سره وعلانيته حببه الى النفوس وسهل له الامور وتولى أمور الناس وحكمهم .

" فالذى أعده الله تعالى للمؤمنين الانبياء خير مما كافأهم به في الحياة و أن ما يكافئون به فى الآخرة فوق ما يكافئون به في الدنيا "(١)

لقوله تعالى : " ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون . " (٢)

---

(١) دعوة الرسل الى الله تاليف محمد أحمد العدوى ص ١٣٣ .
(٢) سورة يوسف عليه السلام آيه (٥٧) .

الخاتمة

" الخاتمـــــــــه "

وبعد الانتهاء من استعراض مادة هذا البحث الذي تم بعـون الله تعالى وتوفيقه أسجل أهم النتائج التي أستنبطها منه ، وأهمهـا ما يتعلق بوسائل التربية والتوجيه التي جاء بها القرآن الكريم وأشـارت اليها سورة يوسف عليه السلام وهي :

أولا : في مجال التربية الفردية :

تربية وتوجيه الأبناء وفق هذا الكتاب العظيم الذي جاء يخاطب العقول ويناشد الضمائر والقلوب بتنمية الفطرة الإسلامية التي فطر اللـه عز وجل الأبناء عليها منذ الخلق الأول لهم وفق تربية الرسل والأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام لإعلاء درجتهم وتعظيم مرتبتهـم .

- المحافظة على تربية جميع النواحي البدنية والخلقية والروحيـة وحمايتها من الأمراض ليضمنوا صحة عقولهم وسلامة أفكارهم عند اكتمـال نضجهم وتحمل مسئوليتهم والبعد بهم عن الوقوع في الهفوات والزلـل .

- الإضفاء على المجتمع الأسرى الصغير الهدوء والطمأنينـة والوقار والبعد بهم عن التشرد والضياع بحسن المعاشرة والهناء .

- الإهتمام بالعلوم والمعارف الدينية والثقافية لتنمية المواهـب والقدرات ولاصلاح شأن الأبناء وعلو منزلتهم لما للعلم من قيمة ومكانـة عالية عند الله تعالى يرفع به من كان موءمنا حيا عالما بأحكامه وشرائعـه وسننه وقوانينه متبعا أوامره ومجتنبا نواهيه .

ثانيا : في مجال الأسرة :

الأسرة هى مجال الصلاح والفلاح للبيت والمجتمع وحمايته من الضعف والفرقة والوهن ، والضياع بالعدل والمساواة وغرس روح المحبة والاخاء ، وتنشأ بينهم علاقات الود والصفاء القائمين على الخلق الفاضل والمشاعر النبيلة الطاهرة والسلوك القويم والصدق والوفاء لربهم وعقيدتهم .

- التعاون دعامة الاسلام دعا الى غرسه في الضمائر ليسود الترابط والتآزر بين أبناء الأمة الاسلامية بعيدا عن الحسد والأثرة والأنانية .

- المحافظة على الحقوق هى الصفة الملازمة للانسان والتى اتصف بها سائر أنبياء الله ورسله للدلالة على الثقة والأمانة خوفا وخشية من الحق تبارك وتعالى وتغلبا على الفتن والاغواء وضمانا ووقاية من الوقوع فى النار .

ثالثا : فى مجال التنظيم العام :

- الدعوة الى الله تعالى هى رسالة الصلاح والتقوى التى جاء بها الانبياء ليصلحوا من قوى الشر والطغيان التى سادت العالم وانتشرت فيه عبادات شتى ومعتقدات باطلة أذلت الأمم وأوقعتهم فى شراك الكفر والعدوان فانزل الله عز وجل مع كل رسول كتابا يهدى الى الحق والصواب ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه .

- تحين الفرص المواتية لوظيفة التبليغ والبيان ومعالجة الناس بالدعوة الى الخير عند توسمه القبول والايجاب منهم ويرشدهم الى دين الحق والعمل بتقوى الله تعالى فيصلح نفوسهم ويقوم إعوجاجهم في غير يأس أو قنوط عند الاعراض والتصدى لما يدعوا اليه لأن الدعوة هى الوحدة العقائدية التى تربط الأمم بعضها ببعض فتوحد كلمتهم وتنصر عقيدتهم وتصون تراثهم الاسلامى وتحقق أهدافهم ه

- لذلك كان لابد من ضابط ثابت ودليل قاطع يوجه داعى الله ويحفظه من الزلل فكان هذا الضابط والدليل هو العبر والعظات التى جاء بها القرآن الكريم فى سورة يوسف عليه السلام للتعرف على أصول الدين وأحكام الشرائع وآدابها الدينية التربوية والعمل بها والتخلق بمنهج رسلها والعمل على نشرها والتمسك بها ليكون خير أسوة في الإقتداء والإهتداء بنورهم لقوله تعالى : " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون "

- ضرورة الاختيار المناسب للرجال للقيام بمهمات عامة لأن الانسان يناسبه عمل ولا يناسبه عمل آخر ولذلك كانت ضرورة الإختيار السليم ه

- الالتزام التام بكل ما جاء من عند الله تعالى ، فالله هو الحاكم وهو العليم الخبير ه

وأخيرا :

فذلك هو جهدى أرجو من الله التوفيق والسداد ه

وهو نعم المولى ونعم النصير ،،،

فهرس المراجع

المراجع

فهرس المراجع

كتب التفسير :

١- ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم — الأمام أبو السعود محمد بن محمد العمادى المتوفي سنة ٩٥١هـ دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .

٢- تفسير القرآن العظيم — الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير قرشيي النسب الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٣- تفسير مجاهد — الامام ابى الحجاج مجاهد بن جبر التابعى المكى المخزومى المتوفي سنة ١٠٤هـ .

٤- تفسير النسفي — أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفي سنة ٧٠١هـ . داراحياء الكتب العربية

٥- التفسير الكبير — فخرالدين الرازى أبو عبدالله محمد بن الحسين بن الحسين بن على التميمى البكرى الطبرى الاصل الرازى المتوفي سنة ٦٠٥هـ ، الطبعة الثانية ، المطبعة العامرة الشرقية

٦- الجامع لاحكام القرآن — لابى عبدالله منحمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الانصارى الخزرجى الاندلسى القرطبى المتوفي سنة ٦٧١هـ . الطبعة الثانية ، دار الكتب المصرية، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.

٧- روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني — أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ طبعة جديدة مصححه ومنقحه ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م دار الفكر، بيروت ص.ب (٧٠٦١)

٨- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية في علم التفسير — محمد بن علي بن محمد الشوكانى المتوفي سنة ١٢٥٠هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

٩- في ظلال القرآن — سيد قطب المتوفي سنة ١٩٦٥م الطبعة الشرعية السابعة ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، دار الشروق ، بيروت .

١٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل — أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، الطبعة الاولى، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

١١- التأويل في معانى التنويل — الامام علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى . المعروف بالخازن المتوفي سنة ٧٤١، دار الفكر ،بيروت.

١٢- (معالم التنزيل) — الامام أبى محمد الحسن الفراء البغوى المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

١٣- موءتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام — عبدالله العلمى الغزي الدمشقي المتوفي سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م الطبعة الاولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، دار الفكر، دمشق

١٤- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام. — الدكتور حسن محمد باجودة دار الكتب الحديثة ، شارع الجمهورية ، بعابدين .

كتب الحديث :

١٥- سنن ابن ماجه — الامام الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ، المتوفي سنة ٢٠٧ - ٢٧٥هـ ، طبعت عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، دار احياء التراث العربي .

١٦- سنن ابى داود — الامام ابو داود سليمان بن الاشعث بن عمرو بن عامر السجستاني المتوفي سنة ٢٧٥هـ في البصرة ، دار الحديث طباعة ، نشر ، توزيع حمص ، سورية

١٧- سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح — الامام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذى المتوفي سنة ٢٧٩هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

١٨- شرح النووى على صحيح مسلم — الامام الحافظ شيخ الاسلام محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامى الحواربي الشافعي المتوفي في نوى سنة ٦٧٦هـ .

١٩- صحيح البخارى — الامام ابى عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفي المتوفي سنة ٢٥٦ طبعت بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول .

٢٠- صحيح مسلم — الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى المتوفي سنة ٢٦١هـ ، الطبعة الثانية ١٣٩٢- ١٩٧٢م، دار الفكر بيروت، لبنان .

٣١- التربية الاسلامية وفلاسفتها — محمد عطية الابراشي ، الطبعة الثالثة - منقحة وبها الكثير من الزيادات ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٣٢- تربية الاولاد في الاسلام — عبدالله علوان. الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة ومفهرسة دار الاسلام للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

٣٣- التصور الفنى في القرآن — سيد قطب

٣٤- تاريخ الرسل والملوك — لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى الطبعةالرابعة - دار المعارف .

٣٥- تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام وايران وتركيا منذ أقدم العصور . — الدكتور جمال عبدالهادى- الدكتورة وفاء محمد رفعت- دار الشروق ، جدة.

٣٦- تهذيب التهذيب — للامام الحافظ الحجة شيخ الاسلام شهاب الدين أبى الفضل أحمدبن على بن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ هـ .

٣٧- خلق المسلم — الامام محمد الغزالي الطبعةالثانية ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م

٣٨- دراسات في الدعوة الاسلامية — الدكتور أحمد غلوش ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .

٣٩- دعوةالرسل الى الله تعالى — محمد أحمد العدوي دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، بيروت لبنان .

مراجع متفرقـــــة

٢٦- احياء علوم الدين — الامام ابى حامد محمد بن محمـــد الغزالى ، المتوفى سنـة ٥٠٥ هـ.

٢٧- اصول علم النفس — الدكتور أحمد عزت راجح ،الطبعـــة الثانية مزيدة ومنقحة ، ١٩٧٠م ، الناشر المكتب المصرى الحديـــث للطباعه والنشر، الاسكندريه .

٢٨- الاسس النفسيه للنمو من الطفولة الــــى الشيخوخة . — الدكتور فؤاد البهى السيد ،الطبعة الرابعة ، المعدله ١٩٧٥م.

٢٩- البداية والنهاية — الامام عماد الدين ابو الفـــــداء اسماعيل ابن عمرو بن كثير القرشـــي النسب الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ الطبعـة الثالثه ، ١٩٧٩م، مكتبـــة المعارف ، ببروت .

٣٠- بينات المعجــزة الخالده عظمـــة معجزات القرآن . — الدكتور حسن ضياءالديـــن عتر .

٤٠ - السيرة النبوية — الامام ابو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى المتوفي سنة ٢١٨ هـ دار الكنوز الادبيه .

٤١- سفر التكوين الاصحاح التاسع والعشرون والثلاثون .

٤٢- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية — العلامة على بن على بن محمد بن أبى العز ، ٧٣١ - ٧٩٢ .

٤٣- الطفل المثالى في الاسلام نشأته - رعايته - أحكامه — عبدالغنى الخطيب الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م المكتب الاسلامي ، بيروت .

٤٤- علم النفس الاجتماعي — الدكتور حامد عبدالسلام زهران الطبعة الرابعة ١٩٧٩م الناشر عالم الكتب .

٤٥- العبودية — شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرانى الدمشقي المتوفي سنة ٧٢٨ هـ الطبعة الخامسة ، المكتب الاسلامي ، بيروت دمشق .

٤٦- العرب في العصور القديمة مدخل حضارى في تاريخ العرب قبل الاسلام — الدكتور لطفي عبدالوهاب يحيى الطبعة الاولى ١٩٧٨م دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص . ب (٧٤٩)

٤٧- العبادة في الاسلام — الدكتور يوسف القرضاوى الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٤٨ - قصص الأنبياء — الحافظ عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ ، دار القلم بيروت ، لبنان .

٤٩ـ القاموس المحيط
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى المتوفي سنة ٨١٧ هـ ، الطبعة الاولى ، دار الجيل .

٥٠ـ كيف تدعو الى الاسلام
فتحي يكن
الطبعة الثانية ، ربيع الثاني ، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ، موسسة الرسالة ، بيروت .

٥١ـ لسان العرب
الامام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصرى المتوفي ، سنة ٧١١ ، دار صادر بيروت .

٥٢ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
الامام عبدالله محمد بن أبى بكر بن أيوب ابن القيم الجوزيه المتوفي سنة ٦٩١-٧٥١
الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .

٥٣ـ مع الله دراسات في الدعوة والدعاة
الامام محمد الغزالى
الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
دار الكتب الاسلامية ، القاهرة

٥٤ـ مقدمة ابن خلدون
عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي
الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م
دار الباز للنشر والتوزيع - المروة ، مكة المكرمة .

٥٥ـ منهج القرآن في التربية
محمد شديد
موسسة الرسالة ، بيروت ، شارع سورية

٥٦ـ الموسوعة الاسلامية العربية التربية وبناء الاجيال في ضوء الاسلام
أنور الجندى
الموسوعة ١٦ .

٥٧ـ النسل والعناية به سلسلة البحوث الاجتماعية
عمر رضا كحالة
الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعـــات